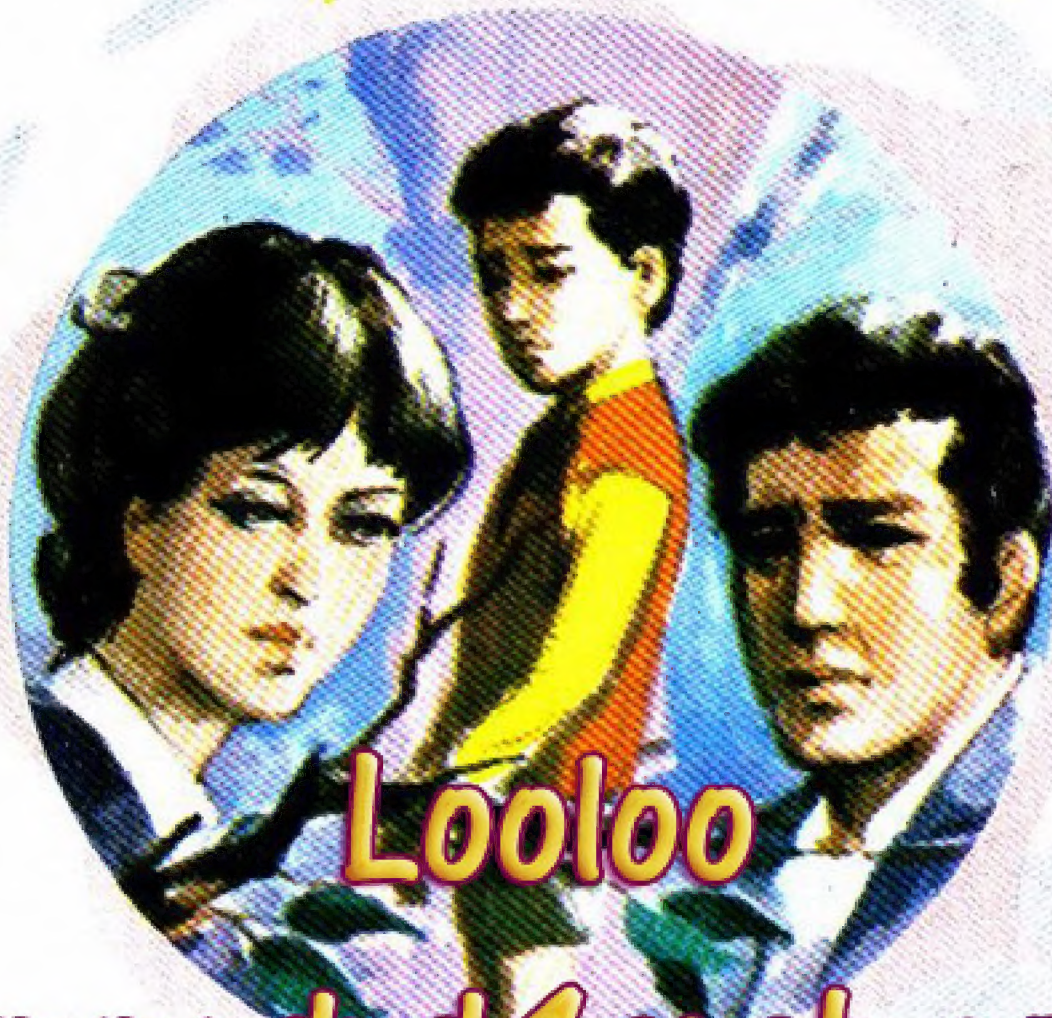




روايات مصرية للجيب

لعبة القدر



Looloo

www.dvd4arab.com



« يقولون إنك كاتب قصصى .. هل هذا صحيح ؟ »
تسللت تلك الكلمات إلى أذنى ، فى صوت هادئ تشوبه
رنة تحدّ غامضة ، وبنعومة أنشوية دفعتنى إلى رفع عيني إلى
محدثتى ، بمزيج من الدهشة والتساؤل ..

كنت أجلس لحظتها فى النادي الرياضى الصغير ببلدتى ،
أنتظر قدوم زوجتى وطفلى الصغير ، بعد أن قرّرنا تناول
طعام الغداء هناك ، فى ذلك اليوم ..

تأملت محدثتى فى حيرة ، دون أن أنهض حتى
لتحيتها ، كما تقتضى أصول اللياقة ..

ثوبها الضيق ، ومكياجها المبالغ فيه ، والسيجارة
المشتعلة بين أصابعها أثارت قلبنى ..

لم يكن من المألوف فى مجتمع بلدتى الصغير ، أن يرى
المرء واحدة مثلها ..

كان مظهرها يمنعنى من محادثتها ، أو حتى إجابة
سؤالها ، لولا عيناها ..

لعبة القدر

رحماك يا بثر العذاب ومنتهاه
يا قدراً يلهو بالقلوب على هواه
يا ويل قلبى من رداء تنسجاه
أنت والأحزان من خفض الجباه
يا خوف عقلى أى عبث تهوياه
يا هول نفسى أى سر تطوياه
إن كان قدرى أن أعيش بلا حياه
ويشيب قلبى قبل أن أروى صباه
فإليك بؤسى لم أذق يوماً سواه
وإليك حزنى ولتكن روى فداه
(نبيل)

***** { *****

***** ٥ *****

كانت عيناها هي أبرز ملامحها ، على الرغم من بشرتها
الحمرية ، وشعرها العجري المصبوغ باللون الأشقر ، المائل
إلى الحمرة ، وفيها الصغير الجميل ..

كانت عيناها واسعتين خضراوين ، تظللها رموش
سوداء طويلة ، كشفت زيف لون شعرها ..
وكانتا حزينتين ..

على الرغم من كل هذا المظهر العاثر ، الذي أضفته
على نفسها ، كانت عيناها ترويان حزناً لا حدود له ..
حزن عميق .. عميق .. لا قرار له ..
هذا الحزن وحده ، هو الذي دفعني للإجابة عن
سؤالها في هدوء :

— أعتقد أنني كاتب قصصي حقاً ، ولكنني لم أبلغ
من الشهرة بعد ، ما يكفي لمثل سؤالك هذا ؟
قبل أن أزيد حرفاً واحداً ، كانت قد جذبت مقعداً ،
ودعت نفسها لمشاركتي المائدة ..

شعرت ببعض الحرج من مجلسنا معاً ، وأدرت رأسي
***** ٦ *****

إلى باب النادي في ارتباك ، خشية أن تصل زوجتي في هذه
اللحظة ، فتظن بي الظنون ..

لاحظت هي ارتباكى ، فسألتنى في هدوء :
— هل تنتظر أحداً ؟
أجبته في ارتباك :
— زوجتي .

هزّت كتفها في لا مبالاة ، وألقت سيجارتها التي
شارفت على الانتهاء ، ثم أخرجت من حقيبتها علبة سجاير أجنبية
الصنع ، التقطت منها سيجارة جديدة بأصابع رشيقة ، ثم
دستها بين شفتيها الجميلتين ، وأشعلتها بقداحة فضية صغيرة ،
بدت لي ملائمة تماماً لطلاء أظفارها الفضي اللامع ..

وجدت نفسي ، دون وعي مني ، أرقب طريقتهما في
إشعال سيجارتها باهتمام ، وكأنني أحاول تطبيق آخر
النظريات النفسية ، التي قرأتها أخيراً ، عن ارتباط شخصية
المدخن بأسلوبه في إشعال سجايره ..

مراقبتها لم تزدني إلا حيرة ..

كانت الطريقة التي تلتقط بها أنفاس سيجارتها ،
تشف عن قصر عمر التدخين في حياتها ، في حين كانت
جرأتها في التدخين ، على هذا النحو العلني ، وسط مجتمعنا
الصغير ، توحى بعكس ذلك تماماً ..

ظلت صامتاً تأملها في اهتمام ، حتى بادرتني هي
قائلة :

— من أين تأتى بالأفكار ، التي تكتبها في قصصك ؟
اعتدلت في مجلسي ، وكأنني أهم بإلقاء محاضرة
أدبية ، وقلت في جدية :

— للكاتب عالمه الخاص ، فهو يختار أبطال قصصه ،
وينسج حولهم الأحداث و

قاطعتني في هدوء لا يخلو من السخرية :

— هذا هو خطؤكم أيها المؤلفون .

نظرت إليها في دهشة ، فأردفت وهي تنفث دخان
سيجارتها في تحد :

— لم لا تنظرون حولكم ؟ .. الحياة مليئة بالآلاف
القصص ، التي تستحق التسجيل ، والتي تبدو أكثر إثارة
من الخيال نفسه .

خيل إلى أنني فهمت ما تعنيه ، فابتسمت وأنا أقول :

— هل لديك قصة تصلح لمؤلف جيد ؟

ابتسمت ابتسامة بدت لي أكثر حزناً من البكاء نفسه ،

وهي تقول :

— أراهن أن القصة التي أحملها ، ستفوق مؤلفاتك
نفسها .

بدأ الاهتمام يتملكني ، حتى أنني نسيت قدوم زوجتي ،
وسألتها في اهتمام :

— أهي قصتك ؟

ازدادت ابتسامتها حزناً ، وقالت :

— استمع إليها أولاً ، ثم ضعها في التصنيف الذي
يحلو لك .

استرخيت في مقعدي ، محاولاً القضاء على حالة
التوتر ، التي ملكتني مع لفتي وانفعالي ، وأشعلت إحدى
مجاثري بدوري ، وقلت في اهتمام :
- حسناً .. كلى آذان صاغية .
وبدأت تقص القصة ...

* * *



***** ١. *****

٢ - قصتها ..

بدأت أحداث هذه القصة منذ سبع سنوات ، بين
فتاة خمزية اللون ، سوداء الشعر ، تعقسه خلفها على نحو
طفولي طريف ، يؤكد ذلك الحياء المطل من عينيها
الخضراوين الواسعتين ، وشباب أسمر وسيم ، له ملامح
رجولية ، مغرقة في الطيبة والحنان ، وشعر مجعد قصير ،
وعينان سوداوان بلون الليل ، يطل منهما حبٌ عميق ،
حبٌ يفيض على العالم أجمع ..

دعنا نطلق على الفتاة اسم (هدى) ، وعلى الشاب
اسم (سمير) ..

كان (سمير) و (هدى) زميلين في كلية التجارة ..
واحدة من كليات التجارة ، في إحدى المدن الصغيرة ،
التي تحتل مركزاً متوسطاً في دلتا مصر ..
وكانا متحابين ..

لا أحد يدري متى بدأت تلك العاطفة السامية ، تغزل
خيوطها الحريرية حول قلبيهما ..

***** ١١ *****

حتى هما لا يدريان ..

لقد اعتاد كل منهما رؤية الآخر في الكلية ..

اعتادا اللقاء ، حتى أتى يوم كشف فيه كل منهما تلك اللفتة في اللقاء ، وذلك الشعور الجارف ، الذي يملأ قلوبهما ، لحظة تقع عينا أحدهما على وجه الآخر ..

لم يقاوما هذا الشعور ..

لم يحاولا ذلك ..

تركا مشاعرهما تشق طريقها في قلوبهما في هدوء ،

واستسلام ..

مجتمع الكلية كله استسلم لهذا الحب ..

كانا يلتقيان في لفتة ، ويفترقان على وعد جديد

باللقاء ..

حتى انتهت دراستهما الجامعية ..

نجح كلاهما بتقدير متوسط ، ولكن هذا لم يقلقهما ،

فقد كان نجاحهما وحده يكفي ..

يكفي لبدء حياتهما ، وتحقيق أملهما المشترك ..

الزواج ..

***** ١٢ *****

كان قد مضى أسبوع واحد على تخرجهما ، حينما التقيا بلهفة في نادي المدينة الصغير ..

جلسا إلى مائدة تتوسط حديقة النادي ، وتشابكت أصابعهما في حب ، وقال (سمير) ، وهو يحتوى (هدى) بحنان عينيه الدافق :

— ألم يحن الوقت بعد يا (هدى) ؟

سألته في خفر ، وهي تخفى عنه سعادتها :

— لم يحن لماذا ؟

ابتسم ابتسامة واسعة حنون ، وقال في حب :

— لزواجنا ..

تضرج وجهها بحمرة الحجل ، وهي تتمتم :

— هذا قرارك وحدك .

أمسك كفيها في حنان ، وقال :

— كلاً يا (هدى) .. إنه قرارنا معاً ، ولا بد لي أن

أحصل على موافقتك أولاً .

سألته في دهشة :

— موافقتي ؟! .. هل تسألني عنها حقاً ؟

***** ١٣ *****

ابتسم وابتسمت ..

حملت ابتسامتها موافقة قديمة ، ولحفة عميقة ، وحملت
ابتسامة حب الدنيا كلها ..

غمغم (سمير) :

— متى يمكنني مقابلة والدك ؟

أجابته في سعادة تمتزج بالحلجل :

— غداً لو أردت ، سأطلب منه أن ينتظرك .

عاد (سمير) إلى منزله وهو يكاد يرقص طرباً .. ولم
يكدر يري والده حتى هتف في سعادة :

— سأقابل والدها لطلب يدها في الغد يا والدي ...
ستذهب معي .. أليس كذلك ؟

ابتسم الوالد في سعادة ، وطيبة كبيرة ، وقال وهو
يربّت على كتف ابنه في حنان :

— بالطبع يا ولدي ، إنك ابني الوحيد ، وأنا أنتظر
هذا اليوم منذ سنوات .

أما أمه ، فقد أسرعته إليه في سعادة ، وضمته إلى
صدرها ، وهي تقول في فرح :

— كم دعوت الله (سبحانه وتعالى) ، أن يهني طول
العمر ، حتى أشهد هذا اليوم يا ولدي .

عاد الوالد يسأل ابنه في حب :

— هل وافق والداها يا بني ؟

هتف (سمير) في سعادة :

— المهم موافقتها هي يا والدي ، هذه سمة عصرنا .

ابتسم الوالد في حنان ، وقال :

— ربما كان حماسك بصور لك هذا يا ولدي ،

ولكن الشيوخ أمثالنا يفكرون دائماً على نحو أكثر واقعية .

تلاشت سعادة (سمير) بغتة ، وسأل والده في قلق :

— ماذا تعني يا ولدي ؟

ازدادت ابتسامة الوالد طيبة ، وقال وهو يضم ابنه

في حنان :

— لا تقلق يا ولدي ، هذا شأن الكبار :

لم تمنح هذه العبارة ذلك القلق ، الذى تولد فى نفس
(سمير) ، ولأول مرة منذ بدأت علاقته بـ (هدى) ،
دار فى رأسه سؤال حائر ..

ترى .. هل يوافق والد (هدى) ، على زواجه منها ؟ ..
السؤال نفسه دار فى رأس (هدى) ، وهى تخبر
والدها بأمر (سمير) ، ورغبته فى الزواج منها ..

كانت هذه هى المرة الأولى ، التى يعرف فيها الوالد
أن ابنته الوحيدة غارقة فى الحب ، ولقد أحسقه هذا بعض
الشيء فى البداية ، ولكنه لم يلبث أن أقنع نفسه بأن هذه
هى طبيعة شباب العصر ، وأنه لا عيب فى الحب ، ما دام
الزواج هو هدفه الرئيسى ، ولكن ملاحظته ظلت هادئة
وهو يسألها :

— هل اسمه (سمير) ؟

أجابته (هدى) فى اهتمام :

— نعم يا والدى .. (سمير عبد الشافى) ، والده هو ..

قاطعها والدها فى هدوء :

***** ١٦ *****

— وما وظيفة (سمير) هذا ؟

ارتبكت (هدى) ، وهى تقول :

— قلت لك إنه زميل لى يا والدى ، ولقد تخرجنا
منذ أسبوع واحد ، ولم يلتحق بأية وظيفة بعد .

مطأ الوالد شفتيه فى امتعاض ، وقال :

— إذن فهو سيخطبك أولاً ، ثم ينتظر حتى تنتهى
فترة تجنيده الإجبارية ، ويأتيه خطاب القوى العاملة
قاطعته (هدى) فى ضيق :

— لن يجنّد (سمير) يا أبى ، فهو مثلى وحيد والديه .

أوماً الوالد برأسه ، وكأنه يؤكد فهمه للأمر ، ثم قال :

— حسناً .. هذا سيختصر عاماً كاملاً فى السنوات

الخمس ، التى يحتاجها قبل أن يصبح قادراً على الزواج .

شعرت (هدى) بقلبها يهوى بين قدميها ، مع رنة

السخرية التى خالطت صوت والدها ، فسأله فى خوف :

— ماذا تعنى يا والدى ؟

أجابها فى هدوء لا يخلو من الصرامة :

— أعني أنكما تعبثان ، أنت و (سمير) هذا ، وأنكما لا تقدّران المسؤوليات التي يفرضها الزواج .

شعرت (هدى) بطعنة موجّهة إلى كرامتها ، مع قول والدها ، فهتفت في غضب :

— أنت لا تعرف (سمير) يا والدى .. إنه رجل يقدّر المسؤولية .

ظهر الغضب على وجه والدها ، وصاح :

— هل تجرئين على مخاطبتي بهذه اللهجة ؟

صاحت (هدى) في غضب مماثل :

— إننى أقول رأيي فحسب .

كانت والدته (هدى) قد لزمّت الصمت طوال الوقت ، ولكنها لم تكذب تلمح ذلك الغضب الهائل في ملامح زوجها ، حتى هبّت لتهدئة الموقف ، وصاحت في ابنتها :

— اذهبي إلى حجرتك يا (هدى) ، واتركيني أنا أتحدث مع والدك في الأمر .

***** ١٨ *****

تردّدت (هدى) لحظة ، ثم أسرعّت إلى حجرتها ، وأغلقت بابها خلفها في قوة ، فقال الوالد في حنق :

— هل رأيت كيف تخاطبني ابنتك ؟

ربّنت الأم على كتفه ، وقالت في حنان :

— إنها ابنتنا معاً يا زوجي العزيز ، ولقد حاولنا طيلة عمرنا أن نجعل منها شخصية مستقلة ، فلا ينبغي أن نعاقبها اليوم ، على نجاحها في ذلك .

صمت الوالد ، وهدأت أساريره ، وكأن قول زوجته قد أعاد إليه صوابه ، ونغم في ضيق :

— لست أمانع في استقلالها بشخصيتها ، ولكن طبيعتها الرومانسية تجعلها ترى الأمور بشكل وردى ، لا يتفق مع طبيعة الزمن الذي نعيشه .

— إنها تحبه .

— الحب وحده لا يكفي لزواج ناجح .

— ولكنه يضمن التوافق بين طرفي الزواج .

— هناك التكافؤ أيضاً ، وهذا الشاب الذي تريده

ابنتنا زوجاً ، لن يمكنه أن يوفر لها الحياة التي تحتاجها .

***** ١٩ *****

— الحبُّ سيجعلهما يَحْتَمِلان الصَّعَابَ .

— هراء .. إذا دخل الفقر من الباب فرَّ الحبُّ من
النافذة .

صمتت الأم لحظة عند هذه النقطة ..

كانت تتنازعها عاطفتان قويتان ..

رغبتها في توفير السعادة لابنتها ، عن طريق زواجها
بالشَّاب الذي تحبه ، وخوفها من أن يتحوَّل هذا الزواج
إلى مقبرة للحبِّ والهناءة ..

غمغمت الأم في قلق :

— هل تعني أنك ترفض مقابلة (سمير) ، ووالده ؟

مطأً الوالد شفَّتيه في حنق ، وقال :

— لا أستطيع أن أُمْنَع إنساناً من زيارتي ، هذا يخالف

الذوق السليم .

سألت الأم :

— وماذا عن زواجه بـ (هدى) ؟

أجابها في صرامة :

— ستنساه (هدى) سريعاً .

سألته الوالدة ، وكأنها ترفض تصديق ما تعنيه كلماته :

— ماذا تعني ؟

أجابها في صرامة :

— أعني أنني أرفض هذا الزواج .. أرفضه تماماً ،

ودون مناقشة .

* * *



تململت في مقعدى ، عندما وصلت محدثتى إلى هذا الجزء من القصة ، ولاحظت هي تململى ، فسألتني في هدوء :

— ألا تصدّق ما أقول ؟

أجبتها في لهجة مجاملة :

— إننى أصدّقك بالطبع .

أشعلت سيجارتها العاشرة ، وقالت وهي تبسم ابتسامة حزينة :

— هل أصابك الملل إذن ؟

تردّدت لحظة ، ثم اعتذرت في مقعدى ، وقلت في جدية :

— هل يضايقك أن نتحدث في صراحة ؟

أجابتنى في اهتمام مماثل :

— بالعكس .. إننى أقص عليك كل شيء ، لأعرف

رأيك في صراحة .

زال تردّدى وأنا أقول :

— على الرغم مما تظنينه من الحزن في قصتك ، فأنا أراها قصة تقليدية و

قاطعتنى في صرامة :

— إنها ليست قصتى .

ابتسمت وأنا أقول :

— حسناً .. إن قصة (هدى) تقليدية جداً .

غمغمت في تساؤل :

— تقليدية ؟!

أجبتها في هدوء :

— بالطبع .. إنها قصة كل شاب وفتاة ، ربطتهما عاطفة الحب ، وفرّقتهما واقعية الحياة المادية في عصرنا هذا .

خيّل إلى أن ابتسامتها تحمل بعض السخرية ، وهي تقول :

— هكذا ؟!

قلت في صرامة :

— أنا أراها كذلك .

أجابت في برود :

— هذا لأنك لم تسمع القصة حتى آخرها .

سألها في هدوء :

— وهل سيختلف باقي القصة ، عما يمكن استنباطه

من أحداثها الماضية ؟

أجابت في تحدٍّ :

— أراهنك .

ابتسمت وأنا أقول :

— حسناً .. سأستمع إلى بقية القصة .

وعادت تروى ..

* * *

احتاج قلب (هدى) بين ضلوعها ، وهي تنظر إلى

ساعتها في اليوم التالي ..

سيحضر (سمير) ووالده بعد ساعة واحدة ، وهي

لم تنته من زينتها بعد .

***** ٢٤ *****

ولكن هذا لم يكن الشيء الوحيد ، الذي يقلقها ..
كان أكثر ما يقلقها ، هو موقف والدها الغامض من
هذا اللقاء ..

إنه لم يتحدث عنه مرة ثانية بعد شجاره معها ، أمها
هي التي أخبرتها أنه سينتظر قدوم (سمير) ووالده ، ولكن
لهجتها لم تكن توحى بقبول والدها ، ولم تفهم (هدى)
سر موافقته على الزيارة ، ما دام لم يقبل فكرة الزواج ..
لم يخفت قلقها إلا حينما بدأ قلبها ينبض في عنف ، مع
قدوم (سمير) ووالده ..

لم تجرؤ هي على مقابلهما ، على الرغم من الجهد الذي
بذلته في تحميل نفسها ، وإعدادها لهذه المقابلة ، فاكثفت
بالاختفاء خلف باب حجرتها ، والإنصات في لهفة إلى
حديث والدها ، مع (سمير) ووالده ..

لقد شعرت بالحقق في البداية ، مع ذلك الاستقبال
البارد ، من والدها لها ، ثم لم يلبث حنقها أن توارى خلف
قلقها ، ولهفتها لمعرفة نتائج اللقاء ..

***** ٢٥ *****

ظل الثلاثة يتحدثون فترة طويلة ، دون أن يذكر
أحدهم كلمة واحدة عن أمر الزواج والخطبة ، ولكن
والد (سمير) نجح بلباقته ، وحسن حديثه ، في انتزاع
الاحترام والإعجاب من والد (هدى) ، الذي لم تلبث
لهجته أن تحولت من البرود إلى الاحترام والاهتمام ، ولم يكذب
والد (سمير) يشعر بذلك ، حتى بادر والد (هدى)
قائلاً :

— لقد أسعدنا كثيراً أن نتعرفك يا سيدى ، وسيشرفنى
جداً لو قبلت زواج ابنى (سمير) ، بابنتك (هدى) .
ساد الصمت تماماً بعد عبارة والد (سمير) ، وشعرت
(هدى) بانفعالها يصل إلى ذروته ، فى تلك الدقائق
القليلة ، التى مضت منذ نطق والد (سمير) بعبارة ، وحتى
أجاب والدها فى هدوء :

— يهمنى أولاً أن أعلم كيف سيعول (سمير) ابنتى ..
كيف سينفق عليها ؟ وأين سيقمان ؟

ثم أردف ، وقد استعادت لهجته صرامتها :

— (هدى) هى ابنتى الوحيدة ، ولا بد أن أطمئن
على مستقبلها قبل كل شيء .

ترقرقت دمعة فى عيني (هدى) ..

كانت تعلم أن ما يقوله والدها مجرد مقدمة ، حتى
يرر أسباب رفضه لـ (سمير) ..

إنها أول من يعلم أن (سمير) لم يعمل بعد ، وأن أزمة
الإسكان الطاحنة ستقف حائلاً بينها وبينه ، ولكنها فوجئت
بوالد (سمير) يقول فى هدوء :

— لقد حصل (سمير) بعد ظهر اليوم على عمل ، فى
مكتب محاسب كبير هنا ، مقابل مائة جنيه شهرياً ،
وسيحصل بعد عامين على شهادة تدريب ، تسمح له بفتح
مكتب محاسبة خاص .. أما بالنسبة للمسكن ، فنحن نملك
منزلاً صغيراً من طابق واحد ، ولكنه فى أحد الأحياء
الكبيرة فى المدينة ، ولقد كنت أعدّ نفسى منذ زمن طويل
لهذه المناسبة ، فادخرت بعض المال ، الذى يكفى لبناء

طابق ثان في المنزل ، يقيم فيه (سمير) وعروسه (بإذن الله) ، ولدي قطعة أرض زراعية في قرىتي ، سيكفي ثمنها لتأثيث منزلها (بإذن الله) .

رقص قلب (هدى) طرباً لهذه المفاجأة السارة ، وكادت تصرخ فرحاً ، عندما أوردف والد (سمير) في حنان وطيبة :

— (سمير) نفسه لم يكن يعلم بكل هذا حتى ظهر اليوم ، وأعتقد أن (هدى) أيضاً لا تعلمه ، ولكنني أحب أن أؤكد لك أن مستقبل (هدى) سيكون آمناً معنا (بإذن الله) لقد تمنينا طويلاً — أنا وزوجتي — أن ننجب ابنة ، ولكن الله (سبحانه وتعالى) لم يشأ ، ولكننا سنعد (هدى) ابنتنا ، التي عوضنا الخالق بها عن ابنة الرحم .

ساد الصمت مرة أخرى ، ولكنه كان صمتاً مشوباً بالفرحة في قلب (هدى) ، وزغرد قلبها في سعادة ، حينما قال والدها في صوت ينم عن الارتياح :

— إنك لم تترك لي مجالاً للاعتراض ياسيد (عبد الشافي) ، ويكفي أن أعدك بأن (سمير) أيضاً سيكون ابناً لنا .

لم يكذب يتم عبارته ، حتى انطلقت زغرودة حقيقية من بين شفتي أم (هدى) ، التي كانت تنصت بدورها للحديث ، والتي اندفعت فجأة ، وبلا مقدمات ، إلى حجرة الصالون ، واحتضنت (سمير) في فرح وحنان ، وقبّلت وجنته ، وهي تقول في حرارة :

— ألف مبروك يا بني .

وجدت (هدى) الدموع تنهمر فجأة من عينيها ، وتفرق وجنتيها ..

كانت دموع السعادة ، التي ازداد انهماكها ، حينما قال والدها في سعادة :

— أين الشرابات يا أم العروس ؟ .. اطلبي منها أن تحضره بنفسها ..

يا للقدر .. حينما يهب السعادة في سناء ، وبلا حدود !

لقد عاش (سمير) و (هدى) أجمل أيامهما وأسعدها ،
بعد موافقة والدها ..

لقد كان حفل خطبتهما عرضاً لأجل ألوان الحب ..
كل أصدقاء الكلية القدامى حضروا حفل الخطوبة ،
وخفقت قلوبهم في سعادة ، وهم يشاهدون (سمير) ،
وهو يضع (دبلته) في إصبع (هدى) ، ورأوها تفعل
المثل معه ..

لقد أجمعوا كلهم على أن الحب كان يطل من عينيها
قويّاً ، عميقاً في هذه اللحظة ، وكأن كلاً منهما قد أصبح
الحياة كلها بالنسبة للآخر ..

لم يهتما كثيراً بتفاصيل الحفل ، فقد شغل كل منهما
بالآخر ، وغرق في عينية وحنانه ..

لم يترك (سمير) كف (هدى) لحظة واحدة طوال
الحفل ، ولم تترك هي كفه ..
وكان هذا الحفل هو لقاء حبهما الأول ..

*** ٣٠ ***

ولقد فجر هذا الحب كل ينابيع الحنان في قلوب
أسرتيهما ، ودفعهما إلى الإسراع في الإعداد للزواج ..
تم بناء الطابق الثاني في منزل والدي (سمير) في سرعة ،
وانتهى صنع أثاث منزل العروسين في فترة قياسية ..
وفي ليلة من ليالي أغسطس الدافئة ، انتهت فترة
خطوبة (سمير) و (هدى) ..
لقد أصبحا زوجين ..



مع زواج (سمير) و (هدى) ، وحياتهما تحت سقف واحد ، بدأ فصل جديد من قصة حبهما ..

لقد تحديا القاعدة التي تقول إن الزواج مقبرة الحب ..
كان الزواج لحيهما ، كالماء الذي ترتوى به الزهور ،
فتزداد تفتحاً وازدهاراً ..

ومنحهما القدر السعادة بلا حساب ..

لقد تفوق (سمير) في عمله ، في مكتب المحاسبة ، حتى
نال ثقة صاحب المكتب ، فأجزل له العطاء ، وزاد من
اهتمامه به ، وظلت (هدى) في المنزل بلا وظيفة ، أو أنها
حصلت على أعظم وظيفة في الكون ..

كان (سمير) يعود من عمله مكثوداً ، متعباً ،
فيجدها في استقباله باسمه حنوناً ، تغدق عليه حبها وعطفها
في سناء ، فتمحو بيسمتها متاعبه ، وبحنانها آلامه ..

وهو أيضاً كان يمنحها عواطفه وحنانه في كرم

حاتمي ، حتى باتا بعد عام من الزواج ، وكأنهما ما زالا
عروسين في أول أيام زواجهما ..

وثكلت حياتهما الزوجية بأعظم ما فيها ..

استدارت بطن (هدى) وتكوّرت ، وأصبح واضحاً
للجميع أنها تنتظر مولودها الأول ..

لا أحد يمكنه أن يصف الفرحة الغامرة التي ، ملأت
العائلة ، لقرب قدوم هذا الضيف الجديد ..

(سمير) بدا وكأنه أسعد مخلوق في العالم ، و (هدى)
ازدادت تعلقاً به ، وكأنها تعلن له مزيداً من حبها ، بعد
أن أصبح والد ابنها ، أو ابنتها ..

والدة (سمير) ووالده أغلدا مزيداً من حبهما ،
وعطفهما على زوجة ابنهما الوحيد ، التي لم تشعر لحظة
واحدة - منذ زواجهما - أنها فارقت والديها ..

كان والدا (سمير) يعاملانها بأبوة وأمومة صادقة ،
مخلصة ، وكأنهما يعوضان بها تلك الابنة ، التي طالما
تمنيا لإنجابها ..

والدا (هدى) بلغت سعادتهما ذروتها ، فيها هو ذا
حفيدهما الأول في الطريق ..

وامتلاً منزل (سمير) و (هدى) بلعب الأطفال ،
وملابس المواليد ، التي نمرهما بها أفراد أسرتهما ، وأخذ
الجميع ينتظرون في لطفة قدوم المولود الأول ..
وجاء الضيف ..

أتى طفلاً جميلاً ، يحمل عيني أمه ، وخميرة بشرتها ،
وملامح والده ، وشعره المجعد ..

كان طفلاً جميلاً ، أطلقا عليه اسم (أحمد) ..
ولم يلبث (أحمد) أن أصبح محور حياة العائلتين ،
ومصدر سعادتهما ، وفرحتهما ..

كانت كل من الوالدين تتخاطفانه ، وتتنافسان في
منحه مزيداً من التدليل ، والحب ، والحنان ..

أصبح هو أهم شيء في الحياة ، بالنسبة للجميع ..
الجميع يرقبون تطوره في اهتمام ولطفة ..

لقد ابتسم (أحمد) ..

لقد أدار عينيه إلى جده ، حينما ناداه باسمه ..
لقد بدأ يلتقط لعبه بيديه الصغيرتين ، ويوليها اهتمامه .
لقد ضحك اليوم بصوت مسموع ..
وعلى الرغم من اهتمام (هدى) البالغ بمولودها ،
لم تهمل (سمير) يوماً ..

كانت تستقبله دوماً بابتسامة خنون ، وهو يستقبلها
دوماً بابتسامة حب ..

ولكن (هدى) لم تلمح يوماً كل ذلك الحنان ،
وكل تلك السعادة في عينيه ، إلا حينما نطق (أحمد)
بكلمة (بابا) للمرة الأولى ..

لقد شعرت يومها وكأن (سمير) سيجن فرحاً ،
وهو يحتضن ابنه ، ويداعبه في سعادة ، حتى استغرق
الصغير في النوم ، وعلى ثغره المنمنم ابتسامة تحمل السعادة ..
كل السعادة ..

وفي تلك الليلة ، بعد أن أوى الصغير إلى فراشه ،
قال (سمير) في اهتمام :

***** ٣٥ *****

***** ٣٤ *****

— لقد انتهت فترة تدريبي تقريباً يا (هدى) ،
وأصبح من حقى الآن فتح مكتب محاسبة يحمل اسمى .
شاركته (هدى) اهتمامه ، وهى تقول فى حنان :
— وهل ستفعل ؟

صمت لحظة ، ثم أجابها :
— إننى آمل ذلك بالطبع ، ولكن هذا يحتاج إلى
مبلغ كبير من المال ، لاستئجار مكتب فى مكان معروف ،
وثأثيثه و

قاطعته فى حماس :
— إننى أدخر مبلغاً لا بأس به ، انتظارك لذلك اليوم ..
ابتسم فى عطف وهو يسألها :
— ومن أين لك هذا ؟

أجابته وهى تربّت على شعره فى حنان :
— لقد كنت تمنحنى الجزء الأكبر من دخلك طوال
العامين الماضيين فى سخاء ، ولكننى كنت أدخر منه جزءاً
كبيراً ، وعندنا الآن ما يزيد على الألفين من الجنيهات .

ابتسم ابتسامة واسعة ، وقال :
— إننا نحتاج إلى عشرة آلاف على الأقل .
صمت (هدى) بغتة ، وكأنما صدمتها ضخامة الرقم ،
ثم قالت فى حماس :

— يمكنك أن تبدأ هنا على الأقل ، فلدينا حجرة
صالون ، لها مدخل منفصل ، ويمكنك استخدامها
مكتباً ، حتى يمكنك تثبيت أقدامك على الأقل ..
ظهر التردد فى ملامحه لحظة ، ثم نغمم :

— ولكن
قاطعته فى حماس :
— ولكن ماذا ؟.. لابد أن نبذل جهدنا كله لتحقيق
هذا الحلم .

ساد بينهما صمت طويل ، أظله الحب بمظلة من
الحنان اللدافق ، ثم ابتسم (سمير) ابتسامة واسعة ، وقال
فى حنان :
— أحبك ..

تورّدت وجنتاها بحمرة الحجل ، كعادتها كلما سمعت
هذه الكلمة الجميلة ، من بين شفّتيه ، ونغمخت وهي
تحتضن أصابعه بكفها الرقيقة :

— وأنا أيضاً أحبك يا (سمير) ..

منحهما حبهما القسرة على اجتياز كل العقبات ،
وسرعان ما أصبحت هناك لافتة أنيقة ، تتدلى من شرفة
منزلها ، معلنة افتتاح مكتب (سمير) للمحاسبة ، في
نفس اليوم الذي احتفلا فيه بعيد ميلاد طفلهما (أحمد) ..
كان (سمير) مخلصاً في عمله .. متفانياً فيه ، مما أثبت
تفوّقه وبراعته ..

ونما الصغير حتى بلغ عامه الثاني ..

ونما معه عمل (سمير) ، حتى لقد أصبح — على
الرغم من صغر عمره — أشهر المحاسبين في مدينته الصغيرة .
أصبحت هناك سيارة أنيقة صغيرة ، تقف أمام
المنزل ، ومفاتيحها في جيب (سمير) ..
وكانت (هدى) أشد فخرّاً بالسيارة ..

***** ٣٨ *****

لم يكن وجود السيارة هو الذي يبعث في نفسها
الفخر ، وإنما نجاح زوجها في تحقيق أحلامهما معاً ..

كان (سمير) يُولى عمله الجزء الأكبر من وقته ،
ولكن (هدى) لم تعترض على ذلك يوماً ..

كانت تحتل في حبّ وحنان ، وهي تعلم أن زوجها
ينتقل بحنانها وحبها ، من نجاح إلى آخر ..

ولم يبخل عليها (سمير) بحنانه وعطفه ، واعترافه
بالجميل ..

ومع العيد الثاني في حياة المولود ، افتتح (سمير)
مكتبه الجديد الأنيق ، في أكبر أحياء المدينة ، وأشهرها ..
مع ابتعاد (سمير) بمكتبه وعمله عن المنزل ، بدأت
(هدى) تشعر بالفراغ ، على الرغم من أن (سمير) كان
يحرص تماماً على عودته إلى المنزل ، فور انتهائه من عمله
في المكتب تماماً ..

كان يعود في كل مرة ، وعلى شفّتيه ابتسامة محبة
حنون ، تمحو من قلب (هدى) كل شعور بالفراغ
أو الملل ..

***** ٣٩ *****

حتى كان يوم من أيام أغسطس الدافئة ..

يوم ذكرى زواجهما ..

أعدت (هدى) كعكة كبيرة ، وزينتها بثلاث شموع ملونة ، وارتدت أفضل أثوابها ، وصفت شعرها في عناية ، وأخذت تداعب طفلها ، وهي تنتظر عودة (سمير) ليحتفلا معاً بعيد زواجهما الثالث ..

ولكن (سمير) لم يعد في مواعده ..

تأخر حتى العاشرة مساءً ، حتى نهشها القلق ، وسيطر عليها الخوف ، فأسرعت تتصل بمكتبه ، ولكنها ظلت تستمع إلى رنين الهاتف في الجانب الآخر طويلاً ، دون أن يجيبها أحد ، فاشتعل قلقها ، ووصل إلى ذروته ، وظلت عيناها معلقين بعقارب الساعة ، حتى وصل (سمير) مع دقائق الحادية عشرة تماماً ..

لم يكن وجهه يحمل في تلك الليلة الابتسامة ، التي حملها طيلة أعوام ثلاثة ..

كان متجهماً ، يطل من عينيه حزن عميق ..

أسرعت (هدى) إليه في لفة ، وسأله في قلق :

— ماذا بك يا (سمير) ؟ .. لماذا تأخرت حتى الآن ؟ ..

نظر إليها بعينه العميقتين في صمت ..

لم تعد لديها ذرة من الشك ، في ذلك الحزن المثل من عينيه ، فعادت تهتف بمزيد من القلق :

— ماذا بك ؟

أجابها وهو يضمها إلى صدره في هدوء وحنان :

— لا شيء يا حبيبتي ، لقد تأخرت قليلاً بسبب بعض

الأعمال في المكتب .

ارتجفت بين ذراعيه ..

كانت تعلم أنه لم يكن في مكتبه ، ولكنها لم تعترض

على قوله ..

كانت تعلم أنه يخفي عنها أمراً ما ، ولكنها لم تحاول

سؤاله عنه ..

أجبرت نفسها على التظاهر بالمرح ، وهي تقول :

— هل يذكرك تاريخ اليوم بشيء ؟

عقد حاجيه وكأنه يحاول أن يتذكر ، ثم غمغم في
تساؤل وشرود :

— أي شيء ١٩

ضايقها أنه لم يتذكر عيد زواجهما ، فتمتعت في
حزن :

— هل تذكر متى تزوجنا ؟

أشرق وجهه فجأة ، وهتف وكأنه يعاتب نفسه :

— يا إلهي !! .. إنني أستحق العقاب .

ثم عاد يضمها إلى صدره في حنان ، ويقول :

— كل عام وأنت بخير يا حبيبتي .

هتفت وهي تلتصق به في حب :

— وأنت بخير يا حبيبي .

شاركها (سمير) احتفالها بعيد زواجهما في مرح ،

ولكن مراحه الزائف لم يخدعها ..

كانت واثقة من أن شيئاً ما يقلقه ، ويحزنه إلى درجة
كبيرة ..

***** ٤٢ *****

لاحظت أنه كان يسرف كثيراً في ضم ابنه إلى صدره ،
وتقبيله في حنان دافق ..

انتظرت حتى نام الصغير ، وأويا إلى فراشهما ،
ثم سأله في هدوء ، لم ينجح إخفاء قلقها البالغ :

— ماذا بك يا (سمير) ؟

حاول أن يتسم ، ولكن ابتسامته جاءت تحمل كل
حزنه الغامض ، وهو يقول :

— مجرد متاعب في العمل يا حبيبتي .

ظلت صامته لحظة ، ثم قالت :

— ما رأيك أن نحصل على إجازة من العمل ،
ونذهب بعض الوقت إلى الإسكندرية .

حدّق في وجهها بدهشة ، ثم غمغم في شرود :

— إجازة ١٩

أجابته في انفعال :

— نعم يا (سمير) .. إجازة ، إنك ترهق نفسك كثيراً .

في العمل ، في الآونة الأخيرة ، وتحتاج ولا شك إلى

إجازة ، يصفو فيها ذهنك من متاعب العمل .

***** ٤٣ *****

ابتسم في حنان وحزن ، وقال في هدوء :
— ليس بعد يا حبيبتى .. سأنهى بعض أعمال المكتب
أولاً ، ثم نحصل على الإجازة .
نامت (هدى) ملء جفניה ، بعد أن حصلت منه
على وعد بالإجازة ، ولكن شيئاً ما أقلقها في النصف
الآخر من الليل ، حيث فوجئت بأن (سمير) لا يرقد
إلى جوارها ..

أصابها الفزع في البداية ، فقفزت من الفراش ،
وهمست باسمه في قلق ، ولكنها لم تتلق جواباً ، فأسرعت
حافية إلى حجرة ابنها ، وهناك تسمّرت في دهشة ..
كان (سمير) يجلس إلى جوار فراش ابنه ، صامتاً ،
شارداً ، حتى أنه لم ينتبه إلى قدومها ..
كان ينظر إلى ابنه النائم في حنان ، وحزن ..
وكان يبكي ..

كان هناك خيطان من الدموع ، يلمعان على وجنتيه ..
إنها المرة الأولى التي ترى فيها (هدى) دموع
(سمير) ...

وقفت ذاهلة لحظة ، ثم أسرعت عائدة إلى فراشها ،
على أطراف أصابعها ..
لم يعد لديها شك في أن (سمير) يعاني حزناً هائلاً ..
حزن امتلك جوارحه كلها ..
ولا بد لها من أن تعرف سبب هذا الحزن ..
لا بد ..

* * *



فشلت كل محاولات (هدى) ، في معرفه سرّ حزن
(سمير) ..

حاولت أكثر من مرّة أن تستلوجه ، إلى الإفصاح
لها عن السرّ ، ولكنه كان يكتفى بابتسامة حزينة ، دون
أن يخبرها بشيء ..

أصبح يغيب كثيراً عن المنزل ، ويقضى معظم وقته
داخله في مداعبة ابنه ، في لهفة وحنان ..

لم يعد يتسم كثيراً ، وحتى إذا فعل ، جاءت
ابتسامته مليئة بالحزن ..

في البداية تصوّرت (هدى) ، بدافع من مشاعرهما
الأنثوية ، أنه يميل إلى امرأة أخرى ، ولكن إغداقه الحبّ
والحنان عليها بسخاء ، ومعرفتها بطبيعة شخصيته ، جعلها
تستبعد هذا الافتراض ، وتحاول البحث عن مبرر آخر ..
إلى أن ساقط الأقدار إليها مفاجأة أخرى ..

كان أحد أقاربها قد قرّر أن يسند إلى مكتب (سمير) ،
مهمة مراجعة حسابات شركته ، ولكنه في اليوم التالي
اتصل بـ (هدى) هاتفياً ، وقال :

— كيف حالك يا (هدى) ؟

تعرفت هي صوته على الفور ، فهتفت في ترحاب :
— كيف حالك أنت يا عمي (محمود) ؟

أجابها في رصانة :

— بخير والحمد لله :

ثم أردف في لهجة ، تحمل رنة العتاب :

— هل يرفض زوجك العمل لحساب أقاربك؟ أم ماذا؟
سألته في دهشة :

— (سمير) ؟ .. إنه لا يرفض أي عمل ، ما دام
صاحبه لا يلجأ إلى الخداع .

جاء صوته الغاضب يقول :

— هذا غير صحيح .. أنت تعلمين أنني رجل شريف
في عملي ، ولقد فكرت في أن يتولى مكتبه حسابات

شركتى ، ولكن سكرتيره قال إنه يرفض تسلم أى عمل جديد ، على الرغم من معرفته بقرايتى لك .

شعرت بالدهشة تسال إلى عروقها ، وهى تقول فى قلق :

— ولماذا يفعل ذلك ؟

أجابها فى غضب :

— أنا الذى ينبغى أن يسأل هذا السؤال .

ساد الصمت لحظة ، ثم قالت (هدى) :

— لا تغضب يا عمى (محمود) ، سأتصل بمكتبه الآن ، وأعرف السبب .

أنهت (هدى) الاتصال ، ثم أسرعت تطلب مكتب زوجها ، وقد اعترأها قلق خفى ، ولم تكذ تسمع صوت سكرتيره ، حتى قالت :

— أين (سمير) ؟.. أنا زوجته .

أجابها السكرتير فى احترام :

— لقد غادر المكتب فى العاشرة كعادته يا سيدتى .

***** ٤٨ *****

هتفت فى دهشة :

— كعادته ؟!.. أين يذهب ؟

خجل إليها أن بعض الارتباك قد تسال إلى صوت السكرتير ، وهو يقول :

— لست أدري يا سيدتى ، لقد قال إنه مضطر إلى العودة إلى المنزل يومياً ، من العاشرة إلى الثانية عشرة . صمتت وقد أجمعتها المفاجأة ، ثم أسرعت تتدارك نفسها ، وتقول :

— آه .. لقد نسيت ذلك ، إنه لم يصل بعد على أية حال ، ولكننى أردت سؤالك عن سبب رفضكم العمل الذى طلبه منكم عمى (محمود البرماوى) .

قال السكرتير ، فى لهجة من يدافع عن نفسه :

— الأستاذ (سمير) هو الذى رفض يا سيدتى .. لقد أعطى أوامره بعدم قبول أى عمل جديد ، وتصفية كل الأعمال القديمة .

تصلبت قبضتها حول سماعة الهاتف ، ووجدت نفسها تصرخ فى ذهول :

***** ٤٩ *****

— تصفية ال

بترت عبارتها فجأة ، وبذلت جهداً خارقاً للسيطرة
على مشاعرها وانفعالها ، ثم تخففت في اقتضاب :
— حسناً .. سأحادثه في الأمر ، عندما يعود إلى
المنزل ..

ولكنها لم تفعل ..

لم تنبس بكلمة واحدة عن الأمر ، عندما عاد
(سمير) إلى المنزل ..

وعلى العكس من ذلك ، أخذت تبذل جهداً إضافياً ،
للتظاهر بالمرح ، حتى لا يلحظ هو قلقها وانفعالها ..
ولكنها قرّرت أمراً في أعماقها ..

قرّرت أن تتوصّل إلى سرّ حزن (سمير) ، وغيبابه
عن مكتبه لمدة ساعتين يومياً ..
قرّرت أن تراقبه ..

وفي اليوم التالي تركته يذهب إلى عمله ، وشيعته

***** ٥٠ *****

بابتسامة واسعة ، لم تلبث أن فارقت شفتيها ، عندما ابتعد
بسيارته ، وأسرعت ترتدى ثيابها ، وأنزلت (أحمد) إلى
مسكن والدي (سمير) ، متحججة برغبتها في التسوّق ،
ثم استقلّت إحدى سيارات الأجرة ، ومنحت صاحبها
مبلغاً محترماً من المال ، في مقابل التفرّغ لها طيلة اليوم ،
ثم جعلته يقلها إلى مكتب زوجها ، وهناك طلبت منه
الانتظار حتى العاشرة .. وفي تمام العاشرة رأت (سمير)
يفادر مكتبه ويستقل سيارته ، ويتجه بها إلى الشارع
الرئيسي بالمدينة ، وتبعته هي في سيارة الأجرة ، حتى
توقفت سيارته أمام مبنى حديث ، يرتفع إلى جوار
المستشفى الجامعي ، ورأته يهبط من سيارته ، ويدلف إلى
المبنى في خطوات واسعة ..

حدّقت (هدى) في المبنى بذهول ، وسرت في
جسدها رعدة ، شملته من قبة رأسها ، حتى أخض قدميها ..

فقد كان المبنى يحمل اسم (مستشفى الأورام) ..
هبطت من سيارة الأجرة مصدومة ذاهلة ، ونقدت

سائقها أجراً يفوق ما سبق لها أن اتفقت عليه معه ،
ثم وقفت جامدة ، تحدّق في بوابة المستشفى ، دون أن
تجرؤ على تتبع (سمير) إلى الداخل ..

هتفت نفسها في جزع :

— لعله يزور أحد زملائه من الأطباء .. أو لعلها
زيارة عمل ..

تردّدت طويلاً ، ثم قرّرت أن تقطع شكها باليقين ،
فخطت بأقدام مرتجفة إلى داخل المستشفى ، وتقدمت
والخوف يملأ نفسها إلى الممرّ ، الذي يضم حجرات
الكشف والعلاج ..

وفي منتصف الممر تماماً ، توقفت قدماها دون أن
تدري ، وشعرت ببرودة كالثلج تسرى في أطرافها ..
هناك .. أمام حجرة العلاج بالإشعاعات ، كان يجلس
(سمير) ..

كان يجلس وسط المرضى ، ينتظر دوره للعلاج ..
انترعت قدميها من الأرض انتزاعاً ، وتقدمت إليه ..

***** ٥٢ *****

وقفت أمامه تماماً ، دون أن تتبسّس بينت شفة ..
رفع هو رأسه إليها في هدوء واستسلام ، وكأن
ظهورها المفاجئ لم يدهشه ..

وكأنه كان يتوقع ذلك يوماً ..

التقت عيناها في حزن ، ولوعة ، وأسى ..
من عينيها سالت دموع حزن وألم ..
ومن عينيها سالت دموع لوعة وهلع ..
ودون أن يتبادلا كلمة واحدة ، اتخذت هي مقعداً
مجاوراً له ..

مدّت كفها إليه .. ومدّت كفها إليها ..

* وتعانق الكفان في ألم صامت ..

لم يعترض هو ، عندما تبعته إلى حجرة العلاج ،
وكأنما قرّر أخيراً ، أن يرفع كل العبء عن كاهله ،
ويسمح لها بمشاركته سرّه ..

وأى سرّ كان ..

***** ٥٣ *****

لقد كشفت (هدى) أن (سمير) يعاني ورماً
خبيثاً يندر شفاؤه ، وأنه يعالج بجرعات من الأشعة منذ
شهر كامل ، وأن نسبة الشفاء من هذا النوع من الأورام
لا يتجاوز الخمسة في المائة ..

لم تستطع منع دموعها ، التي انهمرت أمام الطبيب
المعالج ، وهو يشرح لها ذلك في أسف ..

وجدت نفسها تتشبث به ، وتهتف في ألم :

— لا بد من وجود علاج ما .. أرجوك يا دكتور .

أزاح الطبيب الكهل كفيها في حنان وحزن ، ونغم
في أسف :

— ليت هذا ممكن يا سيدي .

لم يشترك (سمير) في هذا الحديث ، وكأنه قد استسلم
تماماً لقدره ..

أو كأنه قد حصل على الجواب ذاته من قبل ..

ظل صامتاً ، يتأمل حديثها المتضرع إلى الطبيب ،
مكتفياً بدموعه الساكنة ، المستسلمة .

وأخيراً .. وأمام توشلات (هدى) ، نغم الطبيب
الكهل :

— ربما لو سافرتما إلى ألمانيا الغربية .

هتفت (هدى) في لهفة :

— ربما ماذا ؟

تردد الطبيب لحظة ، وكأنه يخشى أن يمنحهما أملاً
زائفاً ، ثم قال :

— قرأت أخيراً أنهم هناك يجرون تجارب علاجية
جديدة ، على هذا النوع من الأورام بالذات و

قاطعت (هدى) في لهفة متزايدة :

— سندهب يا دكتور .. سنتبع الأمل إلى آخر بقاع
العالم .

جذبها (سمير) من يدها ، وقال :

— هيا بنا يا (هدى) .

جذبت يدها من يده ، وهتفت في انفعال :

— انتظر يا (سمير) ، سنحصل على عنوان ذلك
المستشفى في ألمانيا الغربية و

قاطعها في صرامة :

— هيا يا (هدى) .

تبعته مستسلمة إلى سيارته ، ولم يكده ينطلق بها ،
حتى هتفت :

— سنذهب يا (سمير) .. سنذهب إلى هناك .

ظل يقود سيارته في صمت ، وكأنما لم يستمع إليها ،
على حين واصلت هي في انفعال ، دون أن تحاول منع
دموعها ، التي بللت وجنتيها عن آخرهما ..

— لن نستسلم ما دام هناك أمل ..

نغمغم في ضيق :

— كفى يا (هدى) .

عادت تهتف في انفعال متصاعد :

— سنستخرج جواز سفر في الغد ، وسنذهب معاً إلى

قاطعها في صرامة :

— كلاً يا (هدى) ..

سألته في ذهول :

— ماذا تقول يا (سمير) ؟

أجاب في صرامة لم تعهد لها فيه من قبل :

— إني لن أذهب إلى أي مكان .. لن أذهب أبداً .

* * *



انهمرت الدموع غزيرة من عيني (هدى) ، وهي
محتضن زوجها في لوعة ، وهتفت في لهجة أقرب إلى
التوسل :

— دعنا نذهب إلى هناك يا (سمير) .. أرجوك .

ربّت (سمير) على شعرها في هدوء وحنان ، وقال
في لهجة أقرب إلى الحيرة :

— هذا مستحيل يا (هدى) .

ابتعدت عنه في حدة ، حتى كادت ترتطم بجهاز
التليفزيون ، بردهة منزلها ، وهي تقول :

— لماذا يا (سمير) ؟

بدا التردد على وجهه لحظة ، ثم غمغم في ألم :

— من أجلكما يا (هدى) .. من أجلك ، ومن أجل
(أحمد) .

حدقت في وجهه بذهول ، وهتفت :

— ماذا تعني ؟

لوّح بكفيه في حيرة واستسلام ، وقال :

— السفر إلى ألمانيا ، والعلاج هناك سيتكلفان مبلغاً
طائلاً ، سيستنزف ولا شك كل ما لدينا ، ولو أتت النتائج
سلبية ، فسيعني هذا أن أترككما بلا مورد ، وأنا لا أحب
لك ، ولا بني أن تعيشا في فقر من بعدى .

ظلت تحدّق في وجهه لحظة بذهول ، ثم صرخت في

حنق :

— ومن قال لك أننا نقبل هذه التضحية ؟

غمغم في ألم :

— لا بد أن تقبلا يا (هدى) .. لا بد .

صرخت في غضب :

— كلاً يا (سمير) .. إننا لن نقبل .

ثم عادت تحتضنه وتبكي ، وهي تقول :

— هل تظن أننا سنسعد بالمال ، الذي تدفع حياتك

ثمناً له ؟ .. كلاً يا حبيبي .. إننا نفضّل أن نحيا فقيرين

معك ، على أن نرقل في الثراء بدونك .

ثم رفعت إليه عيني صارعتين ، وهتفت وهي تضمه

إلى صدرها :

— سنذهب يا (سمير) .. أرجوك .

طال تردده ، وهو يضمها إليه في حنان ، ثم غمغم
في استسلام :

— حسناً يا (هدى) .. سنذهب معاً .

كان وقع الصدمة عنيفاً على العائلتين ..

انهارت والددة (سمير) ، حينما علمت ما يعانيه ابنها ..

بدا والده كالمصدوم ، وهو يردد في ألم :

— سأبيع المنزل .. سأبيع حتى ملابسي ، حتى يعالج

ولدى .

أما والد (هدى) فقد أسرع بسحب كل مدخراته ،

ووضعها بين يدي ابنته ..

والدتها باعت مصاغها كله دون تردد ..

تدفق نهر من الدموع في الأسرتين ..

باع (سمير) مكتبه وسيارته ..

باع سنوات كفاحه كلها ، في استسلام واستكانة ..

حتى (أحمد) الصغير كان يبكي ..

كان يبكي دون أن يدرك عقله الصغير ما يحدث ،

ولكنه شارك الجميع بدموعه ..

وحانت لحظة السفر ..

وقفت الأسرتان تودعان (سمير) و (هدى) في

المطار ، وبينهما (أحمد) الصغير ، الذي يفارقه والداه

لأول مرة ..

ولكنه لم يبك ..

كان وكأنه قد قرّر ألا يزيد من آلام والديه ببكائه ..

ولكنه احتضن والده طويلاً ، وقبله كثيراً وهو يقول

بلهجته الطفولية :

— إتنى أنتظر عودتك يا والدى .

هتفت (هدى) في حواس ، وهي تحتضن كف

(سمير) :

— سيعود بإذن الله يا (أحمد) .

بدت السماء في هذه الليلة ، وكأنها تشارك الجميع

حزنهم ..

بدت مكفهرة ، ملبدة بالغيوم الكثيفة ، التي حجبت

الطائرة سريعاً ، وهي تنطلق إلى حيث الأمل ..

* * *

صمتت محدثتي بغتة ، عندما وصلت إلى هذا الجزء من القصة ، ولم أجرؤ أنا على سؤالها أن تتابع .. كنت متلهفاً جداً ، وقد جذبتني أحداث القصة ، إلى معرفة نتائج العلاج ، ولكنني لم أجرؤ على سؤالها .. كانت هي تبحث عبثاً عن سيجارة إضافية في علبتها ، التي نخلت تماماً ، وحينما فشلت في العثور على واحدة ، ألقت العلبة بعيداً في لامبالاة ، وأسرعت أنا أقدم إليها إحدى سيجاري ، فالتقطتها في هدوء ، وأشعلتها بقداحتي الفضية ، ثم التقطت أنفاسها في شراهة ، ونفثتها في عمق ، ونمغمت :

— شكراً ..

أجبتها في لهفة :

— عفواً ..

عاد الصمت ينسج ردائه حولنا ، وقد تركت أنا لها حرية الاستمرار في القصة ، إلى أن نفضت رماد سيجارتها وقالت :

***** ٦٢ *****

— هل اختلف رأيك في القصة الآن ؟

أجبتها في حماس :

— بلا شك .

ابتسمت ابتسامة باهتة ، وقالت :

— إنه عبث القدر .. أليس كذلك ؟

أجبتها في شفقة :

— بلى .

ثم أردفت في اهتمام :

— ولكن وصفنا القدر بالعبث ، قد يغضب رجال

الدين .

سألني في دهشة :

— لماذا ؟

أجبتها وأنا أشاركها التدخين ، بإشعال سيجارة

أخرى :

— سيقولون إن القدر لا يعبث ، وإنما هو يقود

الإنسان إلى ما هو مكتوب له .

مطت شفيتها ، وقالت في لامبالاة :

***** ٦٣ *****

— ربما .

ثم حدثت في عيني مباشرة ، وقالت :

— هل يمكنك استنتاج ما حدث ؟

ترددت لحظة ، ثم غمغمت :

— ربما .

مالت نحوي ، وسألني في اهتمام :

— ماذا تظنه حدث إذن ؟

طال ترددي هذه المرة ، ثم قلت في ببطء ، وبصوت

خافت للغاية :

— لقد فشل العلاج .

ارتسمت على شفثي ابتسامة حزينة ، وقالت في هدوء :

— أنت مخطئ مرة أخرى .

أدهشتني عبارتها هذه المرة دهشة غامرة ، فلم تكن

تلك النتيجة لتوافق مع كل ذلك الحزن المرتسم في عينيها ؛

لذا فقد وجدت نفسي أنغمم في حيرة :

— ماذا حدث إذن ؟

قالت في اهتمام :

— سيد هشك ما حدث .. استمع إلى جيداً ..

وعادت تواصل روايتها ..

عاشت أسرتنا (سمير) و (هدى) شهراً كاملاً ، في

جحيم من العذاب واللوعة والألم والحزن ..

كانوا يجتمعون معاً في منزل والد (سمير) ، في انتظار

مكالمة ، أو خبر عن تفاصيل العلاج ، واحتمالات الشفاء ..

شهر كامل فقدت فيه أم (سمير) نصف وزنها ،

وازداد والده شروداً وحزناً ..

لم يعد أحد أفراد الأسرتين يضحك ..

لم يعد أحدهم حتى يتسم ..

حتى (أحمد) ..

لم يكن يضحك أو يتسم ، وكأنه يشعر بما تعانيه

الأسرة كلها ..

لم يحاول أن يسأل عن والديه ، وإنما كان يكتفي

بالجلوس صامتاً ، واللوعة تطل في عيني الصغيرتين ، حينما

يحدث أى اتصال هاتفي بين والديه ، وأسرتيهما ..

***** ٦٥ *****

(٥ - زهور - لعبة القدر - ١)

***** ٦٤ *****

مرّة واحدة فقط ، لمح فيها والد (هدى) دموع
 حزينة تترقرق في عيني الصغير ، فضمه إلى صدره في
 حنان ، وشاركه دموعاً صامتة ..
 وأخيراً .. تحطم جبل الحزن ..
 مكالمات هاتفية تموج بالسعادة ، من (هدى) ، حطمت
 كل هذا الحزن دفعة واحدة ..
 مكالمات أعلنت أن (سمير) قد شفى ..
 وعاد الأمل ..



***** ٦٦ *****

٧ - عبث القدر ..

عاد (سمير) و (هدى) إلى مصر ..
 عادا وقد أظلتهما السعادة بظلها ، ورسمت ملامحها
 بإتقان وفن ..
 كان لقاءً حاراً بين الأسرتين وابنيهما في مطار
 القاهرة ..
 عاصفة من دموع الفرح ، والعناق والسعادة ..
 لقد تعلق (أحمد) بعنق والده ، وأخذ يصرخ في
 سعادة وفرح ، وهو يغمر وجه أبيه بالقبلات ، وكأنه
 يهنئه بالشفاء ..
 لا أحد يمكنه وصف كل تلك السعادة ، التي ملأت
 قلوب الجميع ..
 اكتفى والدا (سمير) بنهر من دموع السعادة ، وشاركتها
 والدته (هدى) ، في حين هتف والد (هدى) في سعادة
 خالصة صادقة :
 — حمداً لله على سلامتك يا ولدي ، لقد أشرقت
 مصر كلها بعودتك .

***** ٦٧ *****

ابتسم (سمير) في سعادة ، وقال :

— ستظل مصر مشرقة ، ما دامت تضم أناساً مثلكم
يا عماء .

هتف والد (سمير) في فرح غامر :

— لن يمكنك تصوّر سعادتي يا ولدي ، إنني أكاد
أرسل خطاب شكر للسفارة الألمانية .

تبادل (سمير) و (هدى) نظرات حانية ، ثم التقط
هو كفها الرقيقة في راحته ، واحتضنها في رقة وحنان ،
وهو يقول :

— أرسله إلى (هدى) يا أبتاه ، فهي صاحبة الفضل
الأول في شفائي .. لقد قرّر الأطباء هناك أن نسبة الشفاء
لا تتجاوز عشرة في المائة ، ولكن (هدى) كانت مفعمة
بالأمل ، ولقد عكسته على الجميع هناك ، وبعثت في
قلوبهم فيضاً من الحماس ، ألهم قدراتهم ، وجعلهم
يمارسون العلاج فيما يشبه التحدّي .

صمت لحظة ، وهو يتبادل نظرة حب عميقة مع
(هدى) ، ثم أردف :

***** ٦٨ *****

— لن يمكنكم أن تصوّروا مدى الحماس والسعادة ،
التي شملت المستشفى كله ، حينما أعلن الأطباء نجاح العلاج ،
والشفاء التام .

هتفت والد (سمير) :

— حمداً لله على سلامتك يا ولدي .

وقال والده في فرح :

— نحن أيضاً أعددنا لك مفاجأة يا ولدي .

تبادل (سمير) و (هدى) نظرات حيرى ، متسائلة ،
ثم قال هو :

— أية مفاجأة يا والدي ؟

أشار والده إلى نقطة خارج المطار ، وقال في حنان :

— هاهي ذى يا ولدي .

تألقت الفرحة في عيني (سمير) ، وهتف في سعادة :

— (عزيزة) ؟ !

كان هذا هو الاسم الذي أطلقه على سيارته القديمة ،

ولقد أسرع إليها في سعادة ، وهو يهتف :

— كيف حصلت عليها يا والدي ؟

***** ٦٩ *****

رقص قلب الأب لسعادة ابنه ، وقال وهو يربّت على كتفه في حنان :

— لقد ابتاعها عم (هدى) — الأستاذ (محمود) —
من الرجل نفسه ، الذي بعته إياها قبيل سفرك ، وأهداها
لك بمثابة تهنة بالشفاء ، وهو يعرض عليك منصب مدير
حسابات في شركته الخاصة بمرتب قدره خمسمائة جنيه في
الشهر .

ترقرقت دموع سعيدة في عيني (سمير) ، ونغمتم :

— يا إلهي !!

أشارت (هدى) إلى السيارة ، وهتفت في حماس :

— هيا يا (سمير) ، قد بنا سيارتك إلى مدينتنا ..

إلى الأمل الجديد .

* * *

يبدو أن عينيّ قد عبرتا عما يجيش به صديري في هذه
اللحظة ، فقد أوقفت محدثي سردها ، وابتسمت ابتسامة
حزينة ، وهي تقول :

— ماذا بك ؟

حاولت أن أبتسم ، ولكنني عجزت تماماً ، وأنا أقول :

— حتى هذه النقطة يمكننا أن نكتب كلمة النهاية ،
وتصبح القصة متكاملة ، ولكن

بترت عبارتي ، وظهر التردد واضحاً في ملامحي ،
مما دفعها إلى أن تسألني :

— ولكن ماذا ؟

قلت في حيرة :

— ولكنها لا تبدو النهاية الحقيقية للأحداث .

ازداد الحزن في ابتسامتها ، وهي تقول :

— لماذا ؟

أردت أن أقول إن الحزن الواضح في عينيها لا يوحى
بنهاية سعيدة لقصتها ، ولكن لساني لم يطاوعني لقول
ذلك ، فاكتفيت بأن أتمم في حيرة :

— لست أدري .

رأسها متفهمة ، وقالت :

— أصاب شعورك هذه المرة .

اندفع السؤال إلى شفتي بسرعة هذه المرة :

— ماذا حدث إذن ؟

أجابتنى في هدوء :

— سأخبرك ماذا حدث

* * *

انطلق (سمير) بسيارته عائداً إلى مدينته الصغيرة ،

التي تبعد عن القاهرة مائة كيلومتر فقط ..

انطلق والسعادة تتقاذف من كل خلية من خلاياه ..

كان يشعر أن القدر قد عاد يبتسم له مرة أخرى ..

استعاد سيارته ، وعملاً يدر دخلاً ممتازاً ..

عاد إلى ابنه ، وزوجته ..

عاد إلى أسرته سليماً معافى ..

كان سعيداً ، حتى أنه هتف ، دون أن يسأله أحد :

— سنستعيد كل شيء (بإذن الله) يا (هدى) .

ابتسمت (هدى) في سعادة وحنان ، وقالت :

***** ٧٢ *****

— بإذن الله يا (سمير) .

عاد يهتف في حماس :

— سأعود للعمل في المنزل .. وستؤمن لي شهرتي

السابقة عملاً كثيراً .. وسأفتح مكتباً جديداً ، أكثر أناقة

وفخامة من المكتب السابق و

ومنعه انفعاله من مراقبة الطريق ..

كان يعبر ذلك المنحنى الخطير عند مدينة (بنها) ،

والذي بلغت شهرة الحوادث فيه مبلغاً مخيفاً مرعباً ..

وفجأة صرخت (هدى) ..

صرخ أفراد الأسرتين في رعب ..

كانت هناك سيارة ضخمة ، من نوع النقل الكبير ،

أمام سيارة (سمير) تماماً ..

وحدث التصادم في جزء من الثانية ..

تلاشت صرخة (هدى) ، في أعماق الغيبوبة التي

أحاطت بها فجأة ..

رأت نفسها تسبح فيما يشبه الغيوم ..

***** ٧٣ *****

فتحت (هدى) عينيها دفعة واحدة ، فرأت نفسها
ترقد فوق سرير أبيض صغير ، في حجرة من حجرات
أحد المستشفيات ، وأمامها طبيب شاب ، وممرضة صغيرة
السن ..

صرخت في لوعة :

— أين (سمير) ؟

ارتسم الحزن في عيني الطبيب والممرضة ، وجاءت
الإجابة لتعود بها إلى الغيوم الكثيفة ..
لقد رحل (سمير) ..
رحل إلى عالم الالعودة ..



غيوم كثيفة تحيط بها من كل صوب ..

صرخت تنادى زوجها وابنها ..

بدت صرختها بلا صوت ، أو صدى ..

ثم خيّل إليها أنها تراهما وسط الغيوم ..

رأت (سمير) ينظر إليها في حزن ، ويدفع (أحمد)

نحوها ..

التقطت (أحمد) بين ذراعيها في لفة وحنان ، ثم

رفعت رأسها إلى (سمير) ، وحاولت أن تهتف باسمه ،

ولكن نظرات الحنان في عينيها منعها ..

بدا لها وكأنه يتلاشى بين الغيوم ، ويبتعد دون أن

تتحرك قدماه ..

حاولت اللحاق به ، ولكن قدماهما بدتا ثقيلتين ،

وكأنهما مسمرتان بالغيوم الكثيفة ..

وابتعد (سمير) .. ابتعد وتلاشى ..

وعادت الغيوم تحيط بها وابنها ، كثيفة عميقة مظلمة ..

وفجأة انقشعت الغيوم ..

تصلبت أطرافى ، وشعرت ببرودة شديدة تعتربنى ،
وأنا أهدق فى وجه محدثتى عند هذه النقطة ..
كنت أتوقع منها أن تنخرط فى بكاء عميق .
ولكنها لم تفعل ..
لم تذرف عيناها الدموع ، ولكننى رأيتها ..
رأيت دموع متحجرة فى عينيها ..
فى ابتسامتها المريرة ..

فى اختلاجة أصابعها ، وهى تلتقط من علبة سيجارى ،
سيجارة أخرى ، فشلت فى إشعالها بقداحتها الفضية ثلاث
مرات ، ثم نجحت فى الرابعة ، وأنعمضت عينيها الخضراوين
الواسعتين ، وهى تنفث دخان سيجارتها فى عمق ، وتعيد
قداحتها بأصابع مرتجفة إلى سطح المائدة ..

لم أنطق بكلمة واحدة ..

تركها تبتلع كل تلك الذكريات المحزنة ، قبل أن
تفتح عينيها ، وتحاول الابتسام فى صعوبة ، وهى تقول :

- رحل فى هدوء كعادته ، دون أن يؤذى غيره .

نعمت فى أسف :

- كيف ؟

حاولت أن تبسم مرة أخرى ، ولكن ابتسامتها حملت
كل حزنها ، وهى تقول :

- كان هو الضحية الوحيدة للحادث ، ولم تصب
(هدى) ، أو ابنها ، أو أسرتاهما إلا برضوض بسيطة ،
وساعات من غيوبة انتهت بسلام .

عدت أنعم فى إشفاق :

- وهكذا انتهت قصة (سمير) و (هدى) .

هزّت رأسها نفياً ، وقالت فى ألم :

- انتهت قصة (سمير) وحده ، وبدأت قصة عذاب

(هدى) .

عقدت حاجبى ، وأنا أتساءل فى صوت خافت :

- عذابها !؟

قالت في حزن :

— نعم عذابها .

قلت في تساؤل :

— عذاب فقده .

نعمت في ألم شديد :

— كان هذا هو الجزء الأكبر من عذابها .

سألها في فضول ، فاق شعوري بالأسف :

— وما الجزء الآخر ؟

رفعت إلى عينيها الحزینتين ، وعادت تواصل قصتها ..

لم تحتمل أم (سمير) صدمة مصرع ابنها ، أمام عينيها ،
على هذا النحو ، فتدهورت حالتها الصحية في سرعة ،
وكانها تتعجل اللحاق بابنها الراحل ، ولم تلبث أن فعلت
ذلك في منتصف إحدى الليالي الباردة ، في هدوء ..

وبقي والد (سمير) ..

***** ٧٨ *****

بقي يجترّ حزنه المزدوج ، على ابنه الوحيد ،
وزوجته ..

بدا الرجل وكأنما تضاعف عمره عشرات السنوات
دفعة واحدة ..

وكذلك بدت (هدى) ..

لقد ظلت تبكي ثلاثة أيام كاملة ، دون أن تجف
دموعها ، أو تذوق النوم لحظة واحدة ، حتى تورّم جفناها ،
وشحب وجهها ، وذبل جمالها الرقيق ..

(أحمد) أيضاً كان يبكي في حرارة ..

على الرغم من سنوات عمره القليلة ، كان يشعر
بالمأساة ..

لقد أصبح يتيماً في لحظة من لحظات عبث القدر ..
أصبحت المدينة الصغيرة كلها تعرف قصة الأرملة
الشابة ، التي فقدت زوجها ، ولم تتجاوز الثلاثين بعد .
لم تكن تغادر منزلها إلا لمأماً ، لتطمئن على والديها ،
أو تنسوّق بعض الضروريات ..

***** ٧٩ *****

كان (سمير) قد أنفق كل ما لديهما من مال في
علاجه ، ولم يعد باقياً لها سوى السيارة ، التي حرصت
على إصلاحها بعد الحادث ، واحتفظت بها ذكرى حبيبها
الراحل ..

كان والداها يمنحانها المال في سخاء ، ووالد (سمير)
ترك لها معاشه ، وأسلمها قيادة المنزل ، مكثفياً مجلساته
الحزينة الصامتة ، وقراءة القرآن الكريم حتى أذان
الفجر ..

لم تكن تشعر بالحاجة إلى المال ، ولكنها على الرغم
من ذلك قرّرت أن تعمل ..

جاء هذا القرار مباغتاً للجميع ، وبالذات لصديقتها
الحميمة (فريدة) ، التي هتفت في دهشة ، وهي تستمع
إلى قرارها :

— تعملين ؟! .. لماذا ؟

قالت (هدى) في ألم :

— العمل هو الشيء الوحيد ، الذي يمكنه أن ينتزعني
من أحزاني ، قبل أن أجنّ ..

سألها (فريدة) في حيرة :

— وابنك (أحمد) ، ألا يحتاج إلى أمه ، وهو لم
يتجاوز الرابعة بعد ؟

هتفت (هدى) في حدة :

— يحتاج إلى أم متزنة ، سوّية ، لا إلى أم كاد الحزن
يذهب بعقلها .

ثم أردفت ، وقد بدأت الدموع تلتمع في عينيها :

— إنك لا تتصوّرين ما أعانيه .. إنني أرى (سمير)
في كل لحظة ، وفي كل مكان .. إنني أستيقظ أحياناً ،
وأنا أتصوّر أنه يرقد إلى جوارى ، وفي موعد عودته
المعتاد ، أجد نفسي أترين وأنتظر ، ثم لا ألبث أن أنخرط
في البكاء ، وأعود إلى عالم الواقع .

نظرت إليها (فريدة) في شفقة وحنان ، ونهضت
تضمها إلى صدرها في عطف ..

كانت (فريدة) صديقة من نوع نادر ..

صديقة وفية مخلصّة ، تنبض بالسعادة ، حينما ترى

(هدى) فرحة ، ويبكى قلبها بدموع الألم مع حزن
صديقتها .

كانت تكبر (هدى) بعام واحد ، ولكنها تعتبرها
دائماً ابنتها ..

وكثيراً ما ظنهما الناس شقيقتين ، من ترابطهما ،
وإخلاصهما المتبادل ..

وشعرت (فريدة) بما تعانيه صديقتها الصديق ،
فقالت وهي تربّت على شعرها في حنان :

— إذا كنت تظنين العمل سيعاونك على تجاوز حزنك ،
فافعل ، ولا تقلقي بشأن (أحمد) .. سأرعاه في غيابك .

تطلعت إليها (هدى) في حنان وامتنان ، وقالت :

— شكراً يا (فريدة) .. إتنى لم أقلق على (أحمد)

في غيابي ، فسيرعاه والد (سمير) ، وهو يجد سلواه
في ذلك .

ساد الصمت بينهما لحظة ، ثم غمغمت (فريدة) :

— هل تريدني أن أعاونك في العثور على عمل ؟

ابتسمت (هدى) ابتسامة حزينة ، وقالت :

— لقد عثرت عليه بالفعل ، في شركة عمي (محمود) .

ازدردت (فريدة) لعابها في صعوبة ، وقالت في
عطف :

— ومتى ستبدئين العمل ؟

أجابتها (هدى) في حزن :

— غداً بإذن الله .

وتسلمت (هدى) عملها في شركة عمها ..

تسلمته في لهفة ، كغريق يتعلق في طوق النجاة
الآخر ..

وانغمست فيه حتى أعماقها ..

وكان عملها بداية لقصة جديدة ..

قصة نسج القدر خيوطها ، وغزلها في مغزل عبثه ..

ذلك القدر الذي أفقدها أحب أهل الأرض إليها ..

ذلك القدر الذي يهوى اللعب بالقلوب ..

٩ - قصة جديدة ..

التقت (هدى) بـ (وائل) في اليوم الأول لعملها في شركة عمها ..

كان (وائل) طرازاً مختلفاً من الرجال ..

مختلفاً عن (سمير) ..

ولكنه كان جذاباً ..

كانت عيناه السوداوان تقولان الكثير ، دون أن

يفصح لسانه عن كلمة واحدة ..

كان مدير قسم الحسابات ، الذي التحقت به (هدى) ،

ولقد استقبلها في اهتمام واضح ، وتعلقت عيناه بعينها ،

وكأنه يتساءل عن سر الحزن المثل منها ..

وأرخت (هدى) جفניה في خجل وخوف ..

شرح لها (وائل) عملها في كلمات موجزة ، وأخبرها

أنها ستشاركه حجرة مكتبه ، وستكون نائبة مدير قسم

الحسابات ..

وأصبحا يلتقيان كل صباح ، بحكم عملهما معاً ..

في البداية لم تكن (هدى) تتبادل معه إلا الحديث

ذلك القدر الذي دفعها للعمل في شركة عمها ..

لقد ذهبت إلى العمل ، وهي تنوى الاستعانة به لإخفاء نار قلبها ، ولكن ما حدث كان عكس ذلك تماماً ..

لقد دفع القدر بها إلى هناك لتلتقي به ..

لتلتقي بـ (وائل) ..



الخاص بالعمل ، على حين كان هو يتحدث إليها كثيراً
في بساطة ، يخاطبها بعض المرح ..

ومع مرور الوقت ، بدأت (هدى) تبسم لعباراته
المرحة ..

وذات يوم ضحكت بصوت مرتفع ، استجابة لدعابة
أطلقها في خفة ظل ..

يومها بترت عبارتها بغتة ، وانتابها شعور قوى
بالندم ، وتأنيب الضمير ..

كيف تضحك في مرح ، و (سمير) لم يفارق الحياة
إلا منذ خمسة أشهر على الأكثر ؟ ..

انتابها الندم ، حتى أن عينيها أغرورقتا بالدموع ،
وشحب وجهها في لحظة واحدة ..

وفهم (وائل) ما تعانيه ..

نهض من خلف مكتبه ، ووقف أمام مكتبها يتأملها
في صمت بعض الوقت ، ثم نعمم في لهجة عطف حانية :

— لماذا يا (هدى) ؟

كانت هذه هي المرة الأولى ، التي يخاطبها فيها

باسمها مجرداً ، ولقد لاحظت هي ذلك ، ولكنها تجاهلته
وهي تقول :

— ماذا تعني ؟

قال في حنان :

— وفاة زوجك الراحل (رحمه الله) ، لا تعني أن
تعيشي عمرك كله في حزن وأسى ، لو أنه حي ما وافق
على ذلك .

قالت في حزن :

— لا يمكنني أن أنساه .

هتف في حماس :

— فليكن .. ولكن دموعك لن تعيد إليه روحه ؟

— ولكنها تعلن عن حياته في قلبي .

— أنت أيضاً لك حياة .

— لقد سلبها موته ؟

— خطأ .. أنت بعد شابة ، لم تتجاوز الثلاثين ،

ويمكنك الزواج مرة ثانية .

رفعت (هدى) عينيها إليه في دهشة ، وهتفت في استنكار :

— الزواج ؟ !

قال في حزم :

— نعم .. الزواج .

عادت تطرق برأسها مغممة :

— من ذا الذى يعوّضنى حنان (سمير) ، وحبّه .

رقّ صوته ، وهو يتمتم في حنان :

— دعيني أحاول .

رفعت عينيها إليه مرّة أخرى في ذهول ، وهتفت :

— ماذا تقول يا (وائل) ؟

هى أيضاً خاطبته دون ألقاب ، وهو أيضاً تجاهل

ذلك ، وهو يشد قامته قائلاً :

— إني أسألك الزواج يا (هدى) .

لم تكذ (فريدة) تسمع من (هدى) تفاصيل هذا

الحوار ، حتى صممت لحظة ، وعقدت حاجبها وهى

تسأل (هدى) في اهتمام :

***** ٨٨ *****

— وبمّ أجبتّه ؟

هتفت (هدى) في استنكار :

— لقد رفضت طبعاً .

سألتها (فريدة) فى هدوء :

— ولمّ ؟

نظرت إليها (هدى) فى دهشة ، وكأنها لا تصدّق

تساؤلها المختصر ، ثم قالت :

— ماذا تقولين يا (فريدة) ؟ .. لم تمض على وفاة

(سمير) ستة أشهر بعد .

قالت (فريدة) فى حنان :

— هل ستقضين عمرك كله بلا زواج ؟

هتفت (هدى) فى صرامة :

— بالطبع .

نهضت إليها (فريدة) ، وأخاطت كتفها بذراعيها

فى ودّ خالص ، وقالت فى هدوء :

— أنت ما تزالين شابة يا (هدى) ، ومن الخطأ أن

تحمكى على نفسك بهذا الحكم القاسى .

***** ٨٩ *****

— هل تريدني أن أخون (سمير) ؟

— الخيانة دائماً لشخص حي ، وليس للموتى .

— إنه حي في قلبي .

— ولكنه لا يرضى أن تهدري شبابك من أجله .

— ولا يرضى أن أتزوج غيره أيضاً .

— من أدراك ؟

— قلبي .

— اسأليه مرة أخرى إذن ، وسيجيبك أن (وائل)

إنسان ممتاز .

— فليتزوج غيري .

— إنه يريدك أنت .

— أنا لا أريده .

— هل تراهنين ؟

توقف حديثهما فجأة عند هذه النقطة ، ثم غمغمت

(هدى) في حيرة :

— لن يقبل (أحمد) زواجي بـرجل آخر ، أنت

تعلمين كم كان يحب أباه .

***** ٩٠ *****

ربّنت (فريدة) على كتفها في حنان ، وقالت :

— إنني أطلب منك الزواج من أجل (أحمد) بالذات ،

قريبة الطفل تحتاج إلى حزم الرجل ، وعطف المرأة في

آن واحد .

تردّدت (هدى) لحظة ، ثم هتفت في حزم :

— لن يمكنني ذلك يا (فريدة) .. لن يمكنني أبداً ..

ولكنها لم تتوقف عن التفكير في الأمر ..

بدت لها مقابلة (وائل) شاقة في اليوم التالي ، ولكنه

لدهشتها استقبلها في هدوء ، وتحدث معها بنفس المرح ،

وكأن شيئاً مما حدث أمس لم يكن ..

كان طبيعياً ، حتى أن (هدى) شعرت بالحنين ،

لهذا الأسلوب الجاف ، الذي رفضته به ، وحاولت أن

تعود إلى التعامل الطبيعي معه ..

وكان ذلك عسيراً ..

ومضت الأيام بطيئة ، متائلة ، و (وائل) مستمر

على معاملته المهذبة معها ، دون أن يشير إلى حديثهما

السابق عن رغبته في الزواج منها ..

***** ٩١ *****

وتضاعف شعورها بالخطأ نحوه ..

وبدأ عقلها يناقش الأمر في هدوء ، ودون تحيز
أو تعصب ..

شعرت أنه لم يخطئ حينما طلب منها الزواج .. من
حقه أن يطلب ، ومن حقها أن ترفض ..

وأسلوبه معها بعد رفضها جعلها تحترمه كثيراً ..

أصبحت تفكر في عرضه طوال الوقت ، حتى كان
يوم بدت فيه شاردة ، وهي تجلس أمام والد (سمير) ،
فتطلع إليها في حنان ، وقال :

— ماذا يقلقك يا بنتي ؟

انتفضت ، وقد تصوّرتة يقرأ أفكارها ، وقالت :

— لا شيء يا عمه .. لا شيء .

ابتسم الرجل في عطف ، وشعرت بسؤال حائر فوق
شفتيه ، تردد طويلاً قبل أن يقول في لهجة حنون :

— لماذا لا تزوجين يا (هدى) ؟

حدقت في وجهه بدهشة ، وهتفت :

— أتزوج !؟

اقترب منها ، وضمها في حنان أبوي ، وقال :

— هل تصوّرين أنني سأحزن لو تزوجت ؟ ..

كلاً يا بنتي .. لقد فقدت ولدي الوحيد ، واعتبرتك
ابنتي بدلاً منه ، وأنا لا أحبّ لابنتي أن تضع شبابها في
الحزن وحده .

نمغمت في حزن ، وهي تستسلم لحنانه :

— هل أنسى (سمير) ؟

هزّ الوالد رأسه نفيّاً ، وحاول أن يمنع دمعة انحدرت
على خده ، وهو يقول :

— لن ينساه أحد منا يا بنتي ، وزواجك مرّة أخرى ،

لا يعني نسيانك له ..

لم تعقب (هدى) على قول حميها ، ولكن فكرها

قفز إلى (وائل) ..

لقد رفضته من قبل ، فكيف تدعوه لطلب الزواج

منها مرّة أخرى ؟ ..

عرضت الأمر على صديقتها الحميمة (فريدة) ،

فأجابتها :

— يمكنك أن تدفعيه إلى تكرار عرضه بالطبع .
هتفت في يأس :
— كيف ؟

مالت (فريدة) نحوها ، وقالت :
— بتبديل أسلوبك الجاف في التعامل معه .
ظهرت الحيرة في عيني (هدى) ، وقالت :
— هل تظنين ذلك ؟
هتفت (فريدة) في حماس :
— بالطبع .

وحاولت (هدى) ..
حاولت وفشلت ..

لم يكن من السهل عليها أن تعلن قبولها لرجل ، بعد
أن رفضته ..

هكذا يصنع المجتمع الشرقي بالنساء ..
يجعلن دائماً مستسلمات ، خاضعات ، منتظرات للخطوة
التي يقدم عليها الرجل ..
ولقد أقدم (وائل) ..

***** ٩٤ *****

لم تدر (هدى) لماذا فعل ، ولكنه فعل ..
كان ذلك بعد الذكرى السنوية لوفاة (سمير) ،
بأسبوع واحد ، عندما نهض (وائل) من خلف مكتبه ،
وتقدم منها بخطوات ثابتة ، ووقف أمامها صامتاً ..
خفق قلبها بمزيج من الانفعال والخوف ، وحاولت
التظاهر بعدم ملاحظة ذلك ، ولكن ارتجافة أصابعها
فضحت مكنون نفسها ، ولقد تحوّل ارتجافها إلى رعدة
قوية ، حينما همس (وائل) في هدوء :
— (هدى) .

رفعت عينيها إليه في بطاء ، فالتقت بعينه ، وبخناهما
الدافق وهو يردف :

— أمازلت ترفضين الزواج مني ؟
أسبلت جفنيها في خجل ، ونهممت :
— كلاً يا (وائل) ..

وبدأت في حياتها قصة جديدة ..

***** ٩٥ *****

عادت الابتسامة إلى شفقي (هدى) ، بعد خطبتها الرسمية لـ (وائل) ..

عادت تشعر بالحياة ..

وكان (وائل) إنساناً ممتازاً للغاية ..

لقد أصرَّ على أن يتناح لها شبكة جديدة ، وكأنها

عروس لأول مرة ..

ولقد نجح بلباقته في اجتذاب (أحمد) ، ومحو ذلك

الحزن الذي ظل يملأ وجهه الصغير طويلاً ..

وكانت (هدى) تطاوعه في كل ما يطلب ، عدا

أمر واحد ..

لقد رفضت أن تقيم حفل زفاف جديد ، وأن ترتدي

ثوب الزفاف الأبيض للمرة الثانية ..

ولم يعترض (وائل) على رفضها طويلاً ..

لقد تفهم مشاعرها ، وتركها تتخذ ما يناسبها من

إجراءات ..

وبحث (وائل) في البداية عن شقة ، تضمه مع

***** ٩٦ *****

زوجته وابنها ، ولكن والد (سمير) أصر على أن يقيم في

شقة (سمير) ، وقال إنه سيعتبر (وائل) تعويضاً له عن

ابنه الراحل ، ولم يملك (وائل) و (هدى) إلا الموافقة .

وفي حفل عائلي صغير ، تم عقد قران (هدى)

و (وائل) ..

كان الجميع سعداء بالحفل ، وبالعروسين ..

حتى (أحمد) الصغير ، والذي كثيراً ما يبدو وكأن

عقليته تفوق عمره كثيراً ، كان فرحاً ، ولقد قبَّل والدته

في حنان ، وقال لها إنها تبدو جميلة هذا المساء ، وقبَّل

(وائل) في احترام ، ثم ناداه بلقب (بابا) .. وكأنه قد

فهم وضعه الجديد ..

كان يوماً ابتسم فيه القدر .. وتم فيه زفاف (وائل)

و (هدى) ..

صمتت محدثتي ، والتزمت الصمت بدوري ..

كنت واثقاً من أن هذه ليست نهاية القصة .. وكنت

أنتظر سماع بقية الأحداث ، ولاحظت هي ذلك بلا ريب

فقلت :

***** ٩٧ *****

— هل تعتقد أن (هدى) قد أخطأت بزواجها مرة

ثانية ؟

هزّزت رأسي نفيّاً ، وقلت في هدوء :

— كلاً بالطبع .

تهدّدت في حزن ، وقالت :

— لقد كان هذا رأي الجميع ، وكان من الممكن

أن تنتهي أحزان (هدى) تماماً ، بعد هذا الزواج ولكن

عقدت حاجبي ، وأنا أسألهما في قلق ولهفة :

— ولكن ماذا ؟

مطّعت شفّتيها الجميلتين ، وهي تهزّ رأسها في أسف ،

قائلة :

— ولكنه عبث القدر مرة أخرى .

حاولت السهطرة على مشاعري ، ولكنني فشلت تماماً ،

وأنا أسألهما في فضول :

— ماذا حدث هذه المرة ؟

أجابتنني في لهجة حزينة :

— حدث الكثير ..

ثم واصلت روايتها ..

* * *

كان (وائل) يختلف عن (سمير) في كثير من

الأشياء ، ولكنه كان زوجاً جيداً ..

كان حنوناً عطوفاً متفهماً ..

ولقد أحبه (أحمد) ..

كان (وائل) و (هدى) ، يذهبان إلى عملهما كل

صباح ، ويتركان (أحمد) لوالد (سمير) ، أو لوالدي

(هدى) ، ثم يعودان إلى المنزل في الثالثة ، فيستقبلهما

(أحمد) في فرح وسعادة ، ويتناول الثلاثة طعام الغداء في

جوّ يسوده المرح ، ثم يعود (وائل) وحده إلى الفترة

المسائية من العمل ، ويستقبله (أحمد) و (هدى) بابتسامة

واسعة ، لدى عودته في التاسعة مساءً ، ويقضي (وائل)

وقتاً طويلاً في اللعب مع (أحمد) ومداعبته ، حتى ينام

الصغير ، ويأوي (وائل) و (هدى) إلى فراشهما ..

وفي أيام الإجازات ، كان (وائل) يصحب (أحمد)

و (هدى) إلى نزاهات جميلة ، تزيل عن الجميع تعب

الأسبوع كله ..

وبداً (وائل) يحتل مكانة (سمير) ..

احتل مكانه في قلب (هدى) ، وفي نفس (أحمد) ..

احتل سيارته ، ومنزله ، وعائلته ..

وكان الأمر يسير في هدوء وسعادة ، حتى كان يوم

بدا فيه (وائل) شارباً ، وهو يأوى مع (هدى) إلى

فراشهما ، فسألته هي في حنان :

— ماذا بك ؟

نعم في ضيق :

— لا شيء .

عادت إليها فجأة مشاعر القلق ، التي انتابتها في

موقف مماثل مع (سمير) ، فاعتدلت في فراشها ، وعادت

تسأله في توتر :

— ماذا بك يا (وائل) ؟

ظهر الضيق مختلطاً بالتوتر في ملامحه ، ثم قال :

— أنت تعلمين أنني أحب (أحمد) .. أليس كذلك ؟

أجابته في قلق :

— بلا شك .

اعتدل جالساً ، وقال في حدة مفاجئة :

— لماذا لا نمنحه شقيقاً أو شقيقة إذن ؟

تطلعت إليه في دهشة ، ونغممت :

— لم يحن الوقت بعد .

فوجئت به يصرخ في حنق :

— لماذا ؟

ثم غادر الفراش ، وأشعل سيجارة ، وهو يقول في

توتر :

— لقد أنجبت (أحمد) بعد فترة قصيرة من زواجك

بـ (سمير) ، ما الذي يمنع أن ننجب ابناً بعد فترة مماثلة .

شعرت بما يعانيه من ضيق ، فقالت في هدوء :

— لقد تزوجنا منذ أربعة شهور فحسب .

ابتسم في سخرية تمتزج بالمرارة ، وقال :

— ألا تكفي للحمل ؟

تهبت (هدى) ، وسألته في توتر :

— ماذا تريد يا (وائل) ؟

هتف في غضب :

— أريد أن أحيى حياة طبيعية ، أريد ابناً .

كانت قد قرّرت منذ زواجها ، أن تؤجل إنجابها
بعض الوقت ..

لم تكن تدري تأثير قدوم الطفل الجديد على (أحمد) .
كانت قد قرّرت ذلك ، ولكنها لم تحاول مضاعفة
غضب (وائل) ، فقالت في هدوء :

— حسناً يا (وائل) .. سيكون لنا ابن .
شعرت بالراحة تسرى في ملامحه ، وتقدّم منها في
حنان ، وقال :

— اغفري لي ثورتى يا (هدى) ، ولكن مداعباتى
لـ (أحمد) جعلتنى أتمنى ابناً من صلبى .
ابتسمت فى حنان ، وقالت :

— لن تنتظر طويلاً بإذن الله يا (وائل) .
ولكن هذا الطفل الجديد لم يأت ...
أوقفت (هدى) كل وسائل منع الحمل ، التى
تتبعها ، ولكن الطفل لم يأت ..

وبدأت علاقة (هدى) بـ (وائل) تتوتر ..

حنان

و ذات يوم ، اصططحت صديققتها الحميمة (فريدة) ،
إلى أشهر أطباء أمراض النساء والتوليد فى المدينة الصغيرة ،
وفحصها الطبيب فى عناية ، ثم قال :

— لا يوجد ما يمنعك من الحمل والإنجاب يا سيدتى .
سألته (هدى) فى قلق :

— لماذا تأخر الحمل هذه المرة إذن ؟

هزّ الطبيب كتفيه ، وقال :

— ربما كان زوجك هو المسئول ، وهذا شائع
الحدوث .

لم يكذب (وائل) يسمع منها هذه العبارة ، حتى
صرخ فى استنكار :

— أنا ؟! .. إنه طبيب جاهل .. ما من شك فى هذا .
احتملت (هدى) ثورته ، وقالت فى هدوء :

— لقد اقترح تحليلاً خاصاً و ..

صرخ (وائل) فى غضب :

— فليذهب وتحليلاته إلى الجحيم .

صاحت (هدى) فى غضب :

— فليذهب أينما يذهب ، أنت الذى تتعجل الإنجاب
لا أنا .

حدّق (وائل) فى وجهها بغضب ، وضغط أسنانه
فى قوّة ، وهو يقول :
— أنت .. أنت ..

ثم اندفع فجأة ، مغادراً المنزل ..
لم يعد (وائل) فى تلك الليلة ..
قضت (هدى) ليلتها وحيدة ، وهى نهب للقلق والتوتر ..
كانت تخشى أن تفقد زوجها الثانى ، وأمنها مرة
ثانية ..

لا تستطيع أن تقول أن حبها لـ (وائل) ، كان
بمائل حبها لـ (سمير) ، ولكنها كانت تحبه كزوج ،
ولم يكن من السهل عليها أن تفقده ..
أخفت تماماً خبر مغادرة (وائل) للمنزل ، حتى
ذهبت إلى عملها فى اليوم التالى ، دون أن تذوق قطرة
واحدة من النوم طوال الليل ..

وهناك التقت به ..

كان يبدو خجلاً ، وكأنه يعترف بخطئه ، واستقبلها
فى حنان ، وسألها فى جزع ، وهو يلمح ذبول وجهها ،
وشحوبها :

— يا إلهى !! هل آمنتك إلى هذا الحد ؟
أجابته فى ضعف :

— لئننى أسعى لسعادتك فحسب يا (وائل) .
التقط كفها الرقيقة فى راحته ، واحتضنها فى دفء ،
وقال فى لهجة أقرب إلى الاعتذار :
— سأجرى التحليل المطلوب .
نغممت وهى ترخى جفניה فى استكانة :
— إذا كان هذا يرضيك يا (وائل) .

ابتسم فى حنان ، وقال :
— سيرضينا هذا معاً يا حبيبتي ، وسيحصل (أحمد)
على شقيق يربطه بوالده الجديد .
عادت السعادة تملأ قلبها ، وهى تغغم :
— هذا ما أرجوه يا (وائل) ..

١١ - عاد العبوس ..

عاد القدر يعبس في وجه (هدى) بعد هذا الكشف ..
لقد تلقى (وائل) الخبر في ذهول ، وظل صامتاً
طوال طريق العودة إلى المنزل ، وشاركته (هدى) صمته
فترة طويلة ، ثم قالت في حنان :

— لن يضيرنا هذا كثيراً ، فلدينا (أحمد) .

أجابها في لهجة قاسية ، صدمت مشاعرهما :

— إنه ابنك أنت .

غمغمت في دهشة :

— إنه ابننا معاً يا (وائل) .

أوقف (وائل) السيارة بغتة ، وصاح في غضب :

— كلاً يا (هدى) .. إنه ابنك أنت ، وابن (سمير) .

قالت في ألم :

— ولكنه يناديك بلقب (بابا) .

لوح بذراعه في حدة حتى كاد يلطمها ، وهو يقول

في حنق :

— إنه لقب كاذب ، غير حقيقي .

ولكن القدر كان لها بالمرصاد ..

لم يشأ أن يبسط لها بساط السعادة ..

لقد أجرى (وائل) التحليل اللازم ، وجاءت النتيجة

سلبية ..

إن (وائل) لن يمكنه أن يصبح أباً ..

* * *



***** ١٠٦ *****

***** ١٠٧ *****

مالت (هدى) نحوه ، وحاولت تهدئته وهى تقول
فى عطف :

— (وائل) .. نتيجة التحليل لا تقلقنى على الإطلاق

قال فى قسوة :

— إنها تقلقنى أنا .

عادت تقول فى حنان :

— لا مبرر لكل هذا الضيق والقلق يا (وائل) ،

عدم قدرتك على الإنجاب مجرد مرض ، لا يختلف عن
أى مرض آخر ، ثم إن الله (سبحانه وتعالى) قد وهبك
النجاح والوسامة ، والمرء لا يحصل على كل شيء فى
الدنيا و

صرخ مقاطعاً فى غضب :

— كفى مناقشات بيزنطية .

تألفت دمة حبرى فى عينيها ، وهى تقول :

— ولكن يا (وائل) .

صرخ فى غضب هادر :

— كفى .

ولم تجرؤ هى على التفوه بكلمة أخرى زائدة ..
لم تكن عدم قدرته على الإنجاب ، تثير فيها أدنى قلق
من القلق ..

ولكنها كانت تدمره تدميراً ..

لقد بدأ يكثر من غيابه عن المنزل ، ويقضى وقته
القليل داخله عابساً ، صامتاً ..

لم يعد يلعب مع (أحمد) ، أو يداعبه ، بل تحولت
معاملته له إلى نوع من القسوة ، جعل الصغير يتعد عنه
بدوره ..

عاد الحزن يكسو وجه (أحمد) ، وبدأ ينظر إلى
زوج أمه كغريب ، يقيم معهما قسراً ..

لم يعد (وائل) و (هدى) يتبادلان الحديث أبداً ..

حتى فى أثناء وجودهما معاً فى الشركة ..

حاولت (هدى) أكثر من مرة ، أن تنزعها من كل

هذا الحزن ، ولكنه كان يتجاهل محاولاتها ، ويقابلها

فى صرامة وقسوة ، حتى كفت عنها تماماً ..

عاد الحزن يظل العائلة بظله ، و (هدى) تحاول

جاهدة الاحتفاظ بالأمر سرّاً ..

لم يكن هناك من يعلم بالأمر سوى (فريدة) ، التي حاولت بدورها إعادة السعادة إلى الأسرة الصغيرة ، ولكنها فشلت أيضاً ..

و ذات ليلة .. كانت (هدى) تجلس مع (فريدة) ، في انتظار عودة (وائل) ، عندما هتفت (هدى) في حزن :

— يبدو أن القدر يأبى عليّ أن أعيش مرة واحدة ، حياة أسرية سعيدة .

تأملتها (فريدة) في إشفاق ، وقالت في حنان :

— لا تقولي هذا يا (هدى) .

تدفقت الدموع فجأة من عيني (هدى) ، وهي تقول :

— هل تظنين أنني أبالغ ؟

نهضت إليها (فريدة) ، واحتضنتها في حنان ، وغمغمت :

— ستعود إليك السعادة يا (هدى) .. صدّقيني .

تركت (هدى) العنان لدموعها ، وهي تقول :

— متى يا (فريدة) ؟ .. متى ؟

هتفت (فريدة) في إشفاق :

— قريباً يا (هدى) ، قريباً جداً .

لم تكدهم عبارتها ، حتى سمع الاثنان صوت مفتاح (وائل) يدور في الباب ، ورأياه يدخل في هدوء ، ويغلق الباب خلفه ، ثم ينظر إليهما بنظرات باردة ، لا تحمل أدنى أثر للترحاب ، فشعرت (فريدة) بالخرج ، وهي تقول :

— مريحاً يا أستاذ (وائل) .. كيف حالك ؟

ظل صامتاً ، يتأملهما بنفس البرود لحظة ، ثم غمغم : — أهلاً .

وأسرع إلى حجرة النوم ، وأغلق بابها خلفه .. التقطت (فريدة) حقيبتها في حرج ، وقالت في ارتباك :

— سأنصرف الآن يا (هدى) ، وسأنتظرك في القريب

بإذن الله .

انصرفت (فريدة) ، وتوجّهت (هدى) إلى حجرة النوم ، وأغلقتها خلفها ، ووقفت تنظر في حيرة إلى

(وائل) ، الذى لم يكن قد بدل ثيابه بعد ..

وبعد فترة طويلة من الصمت ، قالت فى هدوء :

— هل أعد لك طعام العشاء ؟

أجابها فى برود :

— كلاً .. سأتناول عشاءى فى الخارج .

اتسعت عيناها فى دهشة ، وهتفت :

— فى الخارج ؟

التفت إليها فى برود ، وقال فى تحدٍّ :

— نعم .

تمالكت أعصابها ، وهى تقول :

— أهى دعوة خاصة ؟

أجاب فى اقتضاب :

— نعم .

ازدردت ريقها فى محاولة للسيطرة على أعصابها ،

وقالت :

— ألا يمكننى الذهاب معك ؟

أجاب مرة أخرى فى اقتضاب وبرود :

— كلاً .

شعرت بغضب يملأ نفسها من أسلوبه الجاف ، فقالت

فى حدة :

— من صاحب الدعوة ؟

عقد ساعديه أمام صدره ، وقال فى برود :

— ليس من حقك أن تسألى .

لم تعد تستطيع الاحتمال ، فقالت فى غضب :

— بل من حقى أن أسأل يا (وائل) .

ابتسم فى سخرية ، وتحرك وكأنه ينوى الخروج ، دون

أن يجيب تساؤلها ، فأوقفته بكفها فى حدة ، وقالت فى

ضيق :

— ما الذى أخطأت فيه يا (وائل) ، لتعاملنى بهذا

الأسلوب ؟

استدار إليها فى هدوء ، وقال فى برود :

— أى أسلوب ؟

هتفت فى حنق :

— هذا الأسلوب الجاف السخيف .

قال في برود :

— سأعاملك بالأسلوب الذي يحلو لي .

صرخت في غضب :

— لن أحتمل ذلك .

هزّ كتفيه في لامبالاة ، وقال :

— ومن طلب منك الاحتمال ؟

بدلت (هدى) جهداً خارقاً للسيطرة على أعصابها ،

وهي تقول :

— ماذا تريد بالضبط يا (وائل) ؟

ابتسم في سخرية ، وقال :

— أريد أن أذهب إلى دعوة العشاء وحدي .

وجدت نفسها تصرخ في صوت مرتفع :

— لن تذهب .

امتزجت صرختها بصرخة صغيرها ، وهو يهتف

في ذعر :

— ماما !!

رأته يعبر باب حجرة نومها ، ويتعلق بها باكياً ،

وهو يهتف :

— لماذا تصرخين يا أماه ؟

كان صراخهما قد انتزع الصغير من فراشه ، فضمته

إليها في حنان ، ورفعت عينيها إلى (وائل) في عتاب ..

خيّل إليها أنها لحت نظرة حنان في عيني (وائل) ،

لم تلبث أن تلاشت ، وحلت محلها نظرة قاسية ، وهو

يقول :

— أعيدى الصغير إلى فراشه .

قالت في صرامة :

— ليس قبل أن نحسم هذا النقاش .

عقد حاجبيه في غضب ، وقال :

— سأذهب .

هتفت في غضب مماثل :

— لن تذهب .

اقترب منها في تحدٍّ ، وقال :

— من يجرؤ على منعي ؟

أجابته في صرامة ، وهي تضم صغيرها الخائف ،

وكأنها تستمد منه قوتها :

— أنا .

لاحت في عينيه نظرة ساخرة ، وهو يقول :

— حسناً يا (هدى) ، هل تريدین معرفة صاحب الدعوة ؟

أجابته في لطفة :

— نعم .

أشعل سيجارته في بطء ، ونفث دخانها في هدوء ،

ثم نظر إليها في تحدٍّ ، وقال :

— إنها صديقة لي .. صديقة تفوقك جمالا وأنوثة .

هبطت عليها عبارته كالصاعقة ..

لم تفهم سبب هذا التحول المفاجئ في شخصيته ..

لم تدرك لماذا يعتمد خيانتها وإهانتها ، على هذا النحو

الواضح ..

ولم تستطع النطق بكلمة واحدة ..

ظلت تلاحقه بعينها الداهلتين ، حتى غادر المنزل ،

وأغلق الباب خلفه ..

وشعرت في هذه اللحظة أنه قد غادر قلبها أيضاً ..

غادره إلى الأبد ..

* * *

***** 116 *****

١٢ - لماذا ؟

أطفأت محدّثي سيجارتها ، وسط المنفضدة ، التي

امتلاّت عن آخرها بأعقاب السجائر المحترقة ، ورفعت

رأسها إلى في بطء ، وقالت :

— لماذا تظن أنه فعل ذلك ؟

فكرت في الأمر قليلا ، ثم قلت في تروٍّ :

— لديّ تفسيران ، ولكنني لا أجرؤ على الجزم

بأحدهما ، ما دمت لم أتمعن في دراسة نفسية (وائل) .

اعتدلت ، ومالت نحوي في اهتمام واضح ، وقالت :

— أسمعني إياهما ، وسأساعدك في ترجيح أحدهما .

تنحنحت ، كما يفعل المحاضر ، قبل أن يلتقي محاضره

على رهط من المستمعين ، وقت في هدوء :

— لو أننا نظرنا إلى الأمر من وجهة نظر رجل ،

كشفت أن رجولته ليست كاملة ، كما قد يظن هو ،

فسيكون مبعث أسلوبه هذا ، هو رغبته في إثبات تفوقه

كرجل ، وخاصة للمرأة الوحيدة ، التي تعرف سرّه .

***** 117 *****

أومأت برأسها في اهتمام ، وكأنها توافقني على ما أقول
ثم قالت :

— والتفسير الآخر .

قلت في هدوء :

— أن يكون غارقاً حتى أذنيه في حبّ (هدى) ،
حتى أنه يريد أن تتركه دون أن تتأسي و

أوقفتني نظرتها ، التي تعبر عن عدم اقتناعها ،
فأردفت مغمماً :

— ربما .

هزّت رأسها نفيّاً في قوة ، وقالت في أنفعال :

— ما حدث بعد ذلك يستبعد هذا التفسير تماماً .

أسرعت أقول في لطفة :

— ماذا حدث بعد ذلك ؟

عادت تروي ...

ظلت (هدى) متيقظة ، تتميز غيظاً ، في انتظار

عودة (وائل) ..

أخذ عقلها يقلب الأمر على كل الوجوه ، في محاولة
للبحث عن تفسير منطقي لتصرفه ..

راجعت كل تصرفاتها معه منذ زواجهما ، ولكنها
لم تجد سبباً واحداً يدفعه إلى ذلك ..

وفي الثانية والنصف صباحاً ، عاد (وائل) ..

عاد وعيناه تحملان نفس النظرة المتحدية ..

اعترضت (هدى) طريقه ، وقالت في حق :

— لن أسمح لك بإهانتى بهذا الأسلوب .

نظر إليها في سخرية ، وأخرج من جيبه منديلاً صغيراً ،

ألقاه فوق الفراش ، وهو يقول في تحد :

— ومن قال إنني أطلب منك الإذن بذلك ؟

حدّقت (هدى) في وجهه بذهول ..

بدا لها مختلفاً تماماً عن (وائل) ، الذي تزوّجته ..

التقطت المنديل الصغير ، وقلبت أمام عينيها في توتر ..

وفجأة توقفت نظراتها عند بقعة حمراء تلوّثه ..

كانت بقعة من أحمر شفاه ..

أَلَقْتُ (هدى) المنديل في غضب ، وصاحت في
ذهول :

— كيف تجرؤ ؟

أجابها في برود :

— أجرؤ على ماذا ؟

هتفت دون أن تحاول منع دموعها ، التي انهمرت

غزيرة :

— على خيائتي .

أخذ يخلع رباط عنقه في هدوء ، وكأنه لم يسمعها ،

فعادت تهتف :

— أنت خائن .

واصل خلع ملابسه دون أن يلتفت إليها ، فجذبتته من

كتفه في قوة ، وقالت وهي ترتجف من شدة غضبها :

— لن أسمح لك بذلك .

دفع يدها بعيداً في غضب ، وصاح :

— من أنت .. حتى تسمحى ، أو لا تسمحى .

بلغ منها الغضب ذروته ، فهتفت في غضب :

***** ١٢٠ *****

— أنا زوجتك .

أطلق ضحكة ساخرة ، مزقت مشاعرها كخنجر

مسموم ، فشحب وجهها وهي تقول :

— ألا توجد أية أهمية لذلك في نظرك ؟

هز كتفيه في لامبالاة ، وقال :

— كلاً بالطبع .

شعرت بعروقها تنتفض غضباً ، فقالت في حزم :

— طلقنى إذن يا (وائل) .

نظر إليها في دهشة ، وكأن هذا المطلب لم يدر بخلد

من قبل ، وعقد حاجبيه وهو يلتقط علبة سجائره ، ويشعل

سجارة ، وينفث دخانها في بطاء ، وكأنه يدير الأمر في

رأسه ، ثم قال في هدوء :

— لن أدفع لك مؤخر الصداق .

قالت في حزم :

— سأبرئك منه .

عاد ينفث دخان سجارته في هدوء ، ثم قال :

— ونفقتك ؟

***** ١٢١ *****

صاحت في حلق :

— لست أريد شيئاً يا (وائل) .. طلقني فحسب .
جلس (وائل) على طرف الفراش ، وأخذ ينفث
دخان سيجارته في هدوء ، لفترة طويلة ، ثم رفع رأسه
إليها ، وقال في هدوء مثير :

— أهذا هو قرارك الأخير ؟

قالت في حزم :

— نعم .

وفي برود شديد ، وهدوء يفوق الحد ، رفع (وائل)
عينه إليها ، وقال في بساطة :

— أنت طالق ..

وانهارت (هدى) ..

وجدت نفسي أهتف في دهشة :

— طلقها !؟

لمحت دمعة تفر من عين محدثتي ، ولكنها أسرعت

تمسحها بأناملها ، وتحاول الابتسام ، وهي تقول :

***** ١٢٢ *****

— نعم .. وبكل بساطة .

انتابني شعور عجيب بالحنق على (وائل) ، على الرغم
من أنني لم أعرفه شخصياً ..

كم تمنيت لحظتها أن أقابله ، وأصرخ في وجهه :

— لماذا فعلت بها ذلك ؟

يبدو أن رغبتى هذه قد بدت واضحة في ملامحي ،

فقد ابتسمت محدثتي ، وقالت :

— لقد غادر (وائل) حياة (هدى) ، ومدينته

كلها في الوقت نفسه .

سألها في فضول :

— هاجر !؟

هزّت رأسها نفياً ، وقالت :

— بل التحق بعمل آخر في القاهرة .

سألها في اهتمام :

— و (هدى) !؟

ظهر حزن عميق في عينيها ، وقالت :

— لن يمكنك أن تتصور ما حدث لها .

***** ١٢٣ *****

سألتها في لهفة :

— ماذا حدث ؟

وأجابتنى ..

* * *

انهارت (هدى) تماماً بعد أن طلقها (وائل) ..

تخطم قلبها تماماً مع فشلها الثاني في الحياة ..

لم يعد أحد يراها إلا باكية ، ذابلة ، شاحبة ..

وصديققتها الحميمة (فريدة) ، كادت تنهار إلى جوارها ..

لقد تركت منزلها ، وأقامت تماماً مع (هدى) ،

في محاولة منها لتخفيف أحزانها .

ولكن أحزان (هدى) كانت أكبر من أن يخففها

بشر ..

كانت تبكي قدرها ليل نهار ..

ذلك القدر ، الذي منحها السعادة مرة ، وانتزعها

منها مرّات ..

و ذات ليلة هتفت بها (فريدة) :

— رويدك يا (هدى) .. إنك تقتلين نفسك بكل

هذا الحزن .

قالت (هدى) من وسط دموعها ، التي لا تنقطع :

— لقد خسرت زوجين يا (فريدة) ، ألا تفهمين

ذلك ؟

— هذه ليست نهاية الحياة .

— إنها نهاية آمالي على الأقل .

— هراء .. (أحمد) هو كل آمالك .

— (أحمد) ؟ ! .. لقد تحوّل إلى كتلة من الحزن .

— بسبب ما يراه من أحوالك .

— كلاً يا (فريدة) .. هو أيضاً فقد أباه مرّتين .

— لا بد لكل هذا الحزن من نهاية .

— بلا شك يا (فريدة) ، وأنا أنتظرها .

— ما هي ؟

— الموت .

اتسعت عينا (فريدة) في ذهول ، وهي تنظر إلى

(هدى) في شفقة ..

لم تكن تتصوّر أن حزن (هدى) قد وصل إلى

هذا الحد ..

إلى اليأس ..

ظلت صامئة ، تحدّق في وجه (هدى) ، التي
استطردت في هدوء عجيب :

— هل تعلمين سبب فشل زواجي من (وائل) ؟
غمغمت (فريدة) في حزن :
— أعرفه .

هزّت (هدى) رأسها نفياً ، وكفكت دموعها ،
وارتسمت فوق شفّتها ابتسامة حانية مفاجئة ، وهي تقول :

— كلاً .. إنك لا تعرفينه يا (فريدة) .

ثم أردفت في حنان زائد :

— إنه (سمير) .



١٣ - الضياع ..

قطع حديثنا فجأة طفل صغير ، في السادسة من عمره
تقريباً .. اقترب من محدّثتي بخطوات هادئة ، ووقف إلى
جوارها يحدّق في وجهي بنظرات حزينة ، لا تتفق مع
براءة طفولته ..

بدا لي أكبر من عمره بكثير ، وهو يتأملني في حذر ..
كان خمرى البشرة ، له ملامح جميلة ، وشعر مجعد ،
وعينان خضراوان ، لها رموش سوداء طويلة ..
ابتسمت له في ودّ ، وسألت محدّثتي في هدوء :

— إنه (أحمد) .. أليس كذلك ؟

ابتسمت في حزن وحنان ، وهي تربّت على شعر
الصغير ، قائلة :

— بلى .

اتسعت ابتسامتي ، وأنا أواجه الصغير قائلاً :

— كيف حالك يا (أحمد) ؟

أجابني في حزن :

— في خير حال يا عمّاه .

ثم استدار إلى محدّتي ، وقال :

— أريد العودة إلى المنزل .

أطل من عينيها حنان دافق ، وهي تتحسس شعره ،
قائلة :

— هل سئمت اللعب مع رفاقك ؟

أجابها في ضيق :

— لست أحبّ اللعب معهم .

احتضنته في حنان ، وقبلت رأسه وهي تقول :

— انتظري إذن في حجرة الأطفال ، سأتم حديثي

مع عمك هذا ، ونعود معاً إلى المنزل .

أوما برأسه في استسلام ، ووجدني بنظرة مستريية ،

ثم غادرنا في هدوء ورحابة ، بدتاً عجيبتين حينما اقترننا

بعمرة الصغير ..

قلت وأنا أتابعه ببصرى في إشفاق :

— لقد نما قبل الأوان .

تأملته وهو يتعبد بدورها ، ثم عادت تلتفت إلى

قائلة :

— لو أنك عانيت نصف ما عاناه ، لشاب شعرك
قبل أن تبلغ العشرين .

ساد الصمت بيننا لحظة ، ثم سألتها في اهتمام :

— تقولين أن (هدى) كانت تعتبر (سمير) هو

المسئول ، عن فشل زواجها بـ (وائل) .. فلماذا كانت

تظن ذلك ؟

ابتسمت في حزن ، وقالت :

— سأخبرك ..

حدّقت (فريدة) في وجه صديقتها بذهول ، حينما

نطقت بعبارتها الأخيرة ، وسألتها في حيرة :

— وما شأن (سمير) بذلك يا (هدى) .. لقد غادر

الحياة كلها منذ ما يزيد على عام ونصف عام .

بدا وكأن حزن (هدى) كله قد تلاشى ، وهي تقول :

— إنني لم أحبّ في حياتي سوى (سمير) يا (فريدة) ..

أحبيته بكل روي ومشاعري ، وحينما فارق الحياة ،

شعرت وكأن نصف روي قد فاضت ، وعندما قابلت

(وائل) أردت أن أبحث فيه عما يشبه (سمير) ، وتزوجته ؛
لأن حنانه كان مشابهاً لحنان (سمير) .

صمتت لحظة ، وهي تبسّم في شروء ، ثم تابعت :
— كنت أعامله كما كنت أعامل (سمير) ، وحاولت
أن أحبه مثله ، ولكنني فشلت .. كانت علاقتي بـ (سمير)
علاقة حبّ ، وعلاقتي بـ (وائل) علاقة زواج .
عادت الدموع تسيل من عينيها في صمت ، وهي
تستطرد :

— وكنت أخون (سمير) بزواجي من (وائل) .
صاحت (فريدة) في استنكار :
— (هدى) !! لقد ناقشنا هذا الأمر من قبل و...
هتفت (هدى) تقاطعها :

— كلاً يا (فريدة) .. لقد أقنعتني — يومئذ — لأنني
كنت أميل إلى الاقتناع ، أما الآن فأنا واثقة من خيانتني
لـ (سمير) ..

ثم رفعت يديها ، وشبكت أصابعهما ، وهي تهتف
في انفعال :

— ليت يغفر لي .. ليت يغفر لي ..

قفزت (فريدة) من مقعدها ، وأمسكت كفي
(هدى) تهرها في قوة ، وهي تقول :

— كفي يا (هدى) .. الله وحده يغفر لعباده ،
وزواجك من (وائل) لم يكن خطيئة ، أو تجاوزاً .. لقد
كان زواجاً على سنة الله ورسوله ، زواجاً شرعياً .
تجاهلتها (هدى) تماماً ، وكأنها لم تسمعها ، وهي
تردّد في لفة :

— اغفر لي خيانتني يا (سمير) .. اغفر لي ..
وعادت صورة (سمير) تحتل مكان الصدارة في
المنزل ..

ونسيت (هدى) (وائل) ..
أو هي حاولت التظاهر بذلك ..
لقد استعادت حبّ (سمير) ، لتقاوم به فشلها مع
(وائل) ..

كان تتجاهل تماماً في أحاديثها ، تلك الفترة التي

تزوَّجت فيها (وائل) ، وكأن تجاهلها لها سيسقطها في
أذهان الآخرين ..

وأخذت تردد شحوباً وذبولاً ..

حاولت (فريدة) أن تخرجها من حزنها العميق ،
ولكنها فشلت ..

حاول والداها كذلك ، وحاول والد (سمير) ،
ولكن الفشل كان نصيب الجميع ..

كان الوحيد الذي يمكنه دفعها إلى الابتسام هو ،
(أحمد) ..

وحتى ابتسامتها له ، كانت ابتسامة حزينة ، لا أثر
فيها للسعادة ..

حتى سقطت فريسة المرض ..

لم يحتمل جسدها الرقيق كل هذا الحزن ، فسقطت ..
وكانت ترفض الدواء ..

ترفضه في شدة ..

حاولت (فريدة) إقناعها يوماً بتناول الدواء ،
ولكنها رفضته قائلة :

— دعيني يا (فريدة) .. الدواء قد يمنعني الحقاق
ب (سمير) .

هتفت (فريدة) في حزن :

— دعني عنك هذه الأفكار يا (هدى) .. لا بد أن
تعيشي ، من أجل (أحمد) .

ابتسمت (هدى) ابتسامة حزينة ، وقالت :

— لن يسعد (أحمد) بأم محطمة مثلي .

هتفت (فريدة) :

— لهذا لا بد أن تقاومي يا (هدى) .. من أجله .

ولكن (فريدة) لم تتلق جواباً ، فقد سقطت
(هدى) في غيبوبة عميقة ..

أسرعت (فريدة) كالمجنونة إلى أقرب طبيب ، وعادت
به إلى منزل (هدى) ، وسرعان ما لحق بها والدا (هدى)

ووالد (سمير) ، وقد تملكهم جميعاً ذعر هائل ..

كانت والدته (هدى) تبكي في حرارة ، ووالدها
يذرع ردهة المنزل كالمجنون ، على حين تصلبت أطراف

والد (سمير) فوق مقعد قريب ، وأخذ يتلو آيات من
القرآن الكريم في أمل ولهفة ..

وأخيراً .. غادر الطبيب غرفة (هدى) و
تعلقت العيون بشفتيه في لطفة وقلق ، وتعلق به (أحمد)
الصغير ، وهو يقول بلهجته الطفولية الحزينة :

— كيف حال ماما ؟

رَبَّت الطبيب على رأسه في حنان ، وقال :

— بخير أيها الصغير .

أسرع إليه والد (هدى) ، وتشبث بذراعه وهو يسأله :

— ماذا بها ؟

تردَّد الطبيب لحظة ، ثم قال :

— لا يمكنني الجزم يا سيدي .. إنها تحتاج إلى عدد

من الفحوص و

سأله الوالد في قلق بالغ :

— هل تشك في شيء محدد ؟

تردد الطبيب طويلاً ، وهو يقلب بصره بين العيون

القلقة ، التي تتطلع إليه في لطفة ، ثم غلبته أمانته الطبية ،

فهمس في إشفاق :

— للأسف يا سيدي .. إنني أشك في وجود ورم خبيث .

***** ١٣٤ *****

١٤ — أيها القدر ..

حزن وألم عميقان ظللا العائلة كلها مع انتشار الخبر ،
ولكنهم تشبثوا جميعاً بأمل واحد ..

أن تأتي نتائج الفحوص سلبية ..

ولم تكد (هدى) تستعيد قدامتها على الحركة ، حتى
صحبها (فريدة) لعمل الفحوص اللازمة ..

وانتظرت العائلة كلها نتائج الفحوص ، وألستهم
لا تكف عن الدعاء ..

ولكن الفحوص صحت من قلوبهم كل أمل ..

كانت (هدى) تعاني حقاً ورمماً خبيثاً ..

نفس الورم الذي أصيب به (سمير) منذ عامين ..

انهار الجميع عدا (هدى) ..

لقد استقبلت الخبر في هدوء عجيب ..

بل ابتسمت وهي تردد خلف الطبيب :

— نفس الذي أصيب به (سمير) !؟

لم يبد عليها أي أثر للحزن ، وإنما ظلت ابتسامها

تزين شفيتها طوال الوقت ، ونظرت إلى دموع (فريدة)
في دهشة ، وسألتها :

— ما الذي يبكيك يا (فريدة) ؟

نظرت إليها (فريدة) في حنان وإشفاق ، ونحمت :

— لا شيء يا (هدى) ، لا شيء .

بدا وكأن هذا الجواب يكفي (هدى) ، فقد ابتسمت

وهي تقول :

— هل رأيت كم كنا نحب بعضنا ، أنا و (سمير)

يا (فريدة) ؟

ثم أردفت في فرح :

— كنا نتشابه في كل شيء .. حتى في نوع المرض .

والتفت إلى (فريدة) ، مستطردة في سعادة :

— إنه يدعوني للحاق به يا (فريدة) .. إنه يدعوني إلى

شهر عسل جديد في جنة الخلود .. سأذهب إليه يا (فريدة) .

صاحت (فريدة) في ألم :

— ليس الآن يا (هدى) .. لقد شئني (سمير) من

مرضه ، وأنت أيضاً ستشفين بإذن الله .

التفت إليها (هدى) في هدوء ، وقالت :

— ولكنني لا أرغب في الشفاء يا (فريدة) .

رددت (هدى) هذه العبارة للجميع ، فهتف والدها

في ألم :

— حرام ما تقولين يا بنيتي ، لقد خلق الله (سبحانه

وتعالى) الداء والدواء .

نحمت في هدوء :

— لم يعد لي أي هدف في الحياة يا أبي .

ضممتها والدتها إلى صدرها ، وهتفت في صوت باك :

— ولكنك هدفنا الوحيد في الحياة يا بنيتي ، وسنفعل

المستحيل من أجل شفائك .

قالت (هدى) في حزم :

— إنني أرفض يا والدي .. أرفض الشفاء .

أشعلت أنا ومحدثتي سيجارتين ، أوقفنا حديثنا مؤقتاً ،

ثم سألتها :

— ولماذا كنت ترفضين الشفاء ؟

نظرت إلى في غضب ، وقالت :

— قلت لك إنها ليست قصتي .

ابتسمت في هدوء ، وأنا أتذكر التصاق (أحمد)

بها ، وقلت :

— لماذا كانت (هدى) ترفض الشفاء إذن ؟

هزت كتفها ، وقالت في حزن :

— كانت تظن أنها بذلك تكفر عن خيانتها لـ (سمير) .

تأملت ملاحظها لحظة ، ثم قلت :

— ولكنها تراجعت عن ذلك بالطبع .

ابتسمت في هدوء ، وقالت :

— لم يحدث ذلك ببساطة .

سألها في اهتمام :

— كيف حدث ؟ ..

وأجابت ..

على الرغم من استسلام (هدى) لمرضها ، إلا أنها

لم تمنع في الذهاب مع (فريدة) إلى الطبيب ، ليفحصها

***** ١٢٨ *****

مرة أخرى ، واستسلمت لفحصه في هدوء ، ثم جلست

أمامه ، وهو يقول :

— لقد تقدم الطب كثيراً خلال العامين الماضيين ،

ولم يعد علاج مثل هذه الأورام الخبيثة بالأمر العسير ،

ولكن

سألته (فريدة) في لطفة :

— ولكن ماذا ؟

مط شفتيه ، وقال :

— لقد تضاعفت نسبة الشفاء من هذا النوع من

الأورام كثيراً ، وأصبح علاجها يتم هنا في مصر ، وليس

خارجها ، كما كان يحدث سابقاً .. ولكن الشفاء يحتاج

إلى شيء آخر بخلاف مهارة الأطباء ، وتقدم وسائل العلاج .

ثم أردف في إشفاق :

— يحتاج إلى رغبة المريض في الشفاء .

تطلعت (فريدة) في إشفاق إلى (هدى) ، التي

ظلت هادئة باسمة ، وكأنما الحديث لا يعنيا ، وقالت :

— أهذا ضروري ؟

***** ١٢٩ *****

أجابها الطبيب في هدوء :

— إنه أكثر الأشياء ضرورية .

وفي طريق العودة ، قالت (فريدة) لـ (هدى) :

— هل سمعت ما قاله الطبيب ؟

أجابتها (هدى) في هدوء :

— سمعته .

سألها في صرامة :

— إنه يعني أنك وحدك صاحبة القرار في شفائك .

ابتسمت (هدى) ، وهي تقول :

— لقد اتخذت قرارى بالفعل .

وجدت (فريدة) نفسها تهتف في حلق :

— إنه قرار أحق .

تطلعت إليها (هدى) في دهشة ، وقالت :

— ولكنه قرارى أنا يا (فريدة) ، وهي حياتى أنا

التي أتنازل عنها .

صاحت (فريدة) :

— ليس من حق الإنسان التنازل عن حياته ، فهو لم

يحصل عليها بإرادته ، ولن يتنازل عنها بإرادته .

— من قال هذا ؟.. ألم تسمعى عن هؤلاء الجنود ،

الذين ضحوا بحياتهم عن طيب خاطر ، من أجل وطنهم ،

أو رفاقهم .

— هذا الأمر يختلف ، فهم يهبون حياتهم من أجل

غاية عظمى .

— أنا أيضاً أهب حياتى من أجل غاية عظمى .

— أية غاية ؟

— التكفير عن خيائتى .

— هراء .. إن ما تفعلينه يعد انتحاراً ، والانتحار

جريمة يعاقب عليها الشرع والقانون .

— أريد أن ألتقى بـ (سمير) .

— لن يحدث هذا أبداً بطريقتك .

— بل سيحدث .

— كلاً .. إن المنتحر يذهب إلى الجحيم ، وهناك

لا يلتقى الأحبة أبداً .

— سيغفر الله لى ، فهو (سبحانه) غفور رحيم .

تلقت (فريدة) في صباح اليوم التالي مكالمة هاتفية ، جعلتها تهرع في قلق إلى منزل (هدى) ..
كانت (هدى) نفسها هي صاحبة المكالمة ، ولم تكده تسمع صوت (فريدة) ، عبر أسلاك الهاتف ، حتى قالت في لهفة :

- (فريدة) .. لقد رأيته يا (فريدة) .

هتفت بها (فريدة) في قلق :

- رأيت من ؟

صاحت (هدى) في سعادة :

- رأيت (سمير) .

صرخت (فريدة) في ذهول :

- (سمير) ؟!

هتفت (هدى) في فرح :

- نعم يا (فريدة) .. (سمير) ، إني أنتظرك لأقص

عليك ما حدث .

- إن رحمة الله (سبحانه وتعالى) لمن يطيعه فقط ، لا لمن يغضبه .

صمتت (هدى) لحظة ، وكأنها تدرس الحوار مرة أخرى ، ثم قالت :

- فليفعل الله (سبحانه وتعالى) ما فيه الخير يا (فريدة) .. اتركي لي هذا القرار ، فلن يتخذه سواي .

سألتها (فريدة) في تردد :

- وماذا ستفعلين ؟

أجابتها في هدوء :

- سأفعل الشيء الصحيح .. وهذا شأني وحدي ..

وشأن القدر .



هذه المكالمة هي التي جعلت (فريدة) تهرع إلى منزل
(هدى) في قلق ..

لقد تصورت أن (هدى) قد أصابها الجنون ..
تصورت أن الضغوط النفسية التي عرّضت (هدى)
نفسها إليها ، قد ذهبت بعقلها تماماً ..
ولكن لقاءها بـ (هدى) أزال هذه الفكرة عن
رأسها تماماً ..

لم تكذ تصل إلى شقة (هدى) ، حتى سألتها في لهفة :

— أين رأيت (سمير) يا (هدى) ؟

ابتسمت (هدى) في سعادة ، وأجابتها :

— في نومي يا (فريدة) .

تهلّلت (فريدة) في ارتياح ، وقالت :

— هو حلم إذن .

هتفت (هدى) :

— بل رؤيا يا (فريدة) .

عقدت (فريدة) حاجبها في دهشة ، وهي تغغم :

— رؤيا ؟!

قالت (هدى) في سعادة :

— نعم يا (فريدة) .. رؤيا .

ثم مالت نحوها ، وهي تستطرد في حماس :

— هل تذكرين تلك الرؤيا ، التي أخبرتك عنها ،

والتي رأيتها إبّان مصرع (سمير) .

عقدت (فريدة) حاجبها ، في محاولة للتذكر ،

وتمتمت في صوت خافت :

— هل تقصدين رؤيتك له وسط الغيوم ؟

هتفت (هدى) :

— إنها الرؤية نفسها ، التي رأيتها أمس .

سألتها (فريدة) في دهشة :

— المشهد نفسه .

هزّت (هدى) رأسها في حماس ، وقالت :

— كلاً .. لقد رأيته على نحو مختلف .

ثم قادت (فريدة) إلى الأريكة ، وأجلستها إلى

جوارها ، وقالت في اهتمام :

— لقد رأيت نفسي أقف وسط الغيوم الكثيفة ،

وأتطلع حولي في خوف ، ثم لم ألبث أن رأيت (سمير)
يتقدم مني ، ويبرز من وسط الفيوم .

شردت نظراتها في حنان ، وهي تقول :

— لقد كان يتسم نفس ابتسامته الحنون ، وهو
يقترّب مني ، ويمدّ كفه إلى قائلاً : « تعالى يا (هدى) .. »
حاولت أن أذهب إليه ، ولكنّ قدّمتي بدتتا ثقيلتين ،
فقلت له : « اجذبني إليك » .. ابتسم وقال : « كلاً
يا (هدى) .. هذه مهمتك وحدك » .. سألته : « هل
أحضر (أحمد) ؟ » .. هزّ رأسه في هدوء ، وقال : « لم
يحن وقته بعد يا (هدى) » .

قاطعتها (فريدة) في قلبي :

— وماذا يعني هذا ؟

ابتسمت (هدى) ابتسامة عريضة ، وقالت :

— يعني أنني سألحق به يا (فريدة) .. سألحق به إلى

عالم الخلود .

قاطعنا (أحمد) الصغير ، الذي عاد دون أن ننتبه إليه ،

وقال لمحذّتي ، وهو يحدّجني بنظرته الحزينة المرتابة :

***** ١٤٦ *****

— أريد العودة إلى المنزل يا ماما .

ربّنت على رأسه في حنان ، وقالت :

— سنصرف بعد قليل يا (أحمد) .. أعدك بذلك .

نظر إلى (أحمد) في ضيق ، وكأنه يتهمني بانتزاعها

منه ، ثم عاد أدراجه إلى حجرة الأطفال في هدوء ،
وتبعته بنظراتي حتى اختفى داخلها ، ثم سألتها في اهتمام :

ماذا حدث بعد ذلك ؟

تطلعت إلىّ في حزن ، وقالت :

— أخبرني أولاً ، هل تظن ما رأيته (هدى) رؤيا

حقاً ، أم مجرد حلم عاديّ .

قلت في ثقة :

— حلم عادي ولا شك .

عقدت حاجبيها ، وهي تسألني في اهتمام :

— لماذا ؟

قلت مندفعاً :

— لأن الرؤيا تتحقق ، بخلاف الحلم ، الذي يعبر

عن رغبات عقلنا الباطن و....

أردت أن أقول إن مناداة الصغير لها بكلمة (ماما) ،
تؤكد أن الحلم لم يتحقق ، ولكنني تذكرت رغبة محدثتي
في إخفاء شخصيتها ، فبترت عبارتي ، وقلت :
— هذا ما أظنه أنا .

أومأت برأسها ، وهي تقول :
— تحليلاتكم دائماً منطقية أيها المؤلفون .
ابتسمت في ثقة ، وقلت :
— وماذا حدث بعد ذلك ؟
غمغمت :

— كادت القصة تصل إلى نهايتها .
وأشعلت سيجارتها العشرين ، وعادت تقص ما بقي
من القصة ..

* * *

شعرت (فريدة) بغضب هائل ، وهي تستمع إلى
عبارة (هدى) المستسلمة للموت ، فقالت في حدة :
— لقد اخترق عقلك الباطن هذا الحلم يا (هدى) ،
لتفري من مسئولياتك .

نظرت إليها (هدى) في دهشة ، وغمغمت :
— ماذا تقولين يا (فريدة) ؟

صاحت (فريدة) في حق :
— أنت تشعرين بثقل المسؤولية الملقاة على عاتقك ،
وتحاولين الفرار منها .

سألها (هدى) في دهشة :
— أية مسئولية يا (فريدة) ؟
هتفت (فريدة) :
— مسئولية (أحمد) .

ظهر التردد على وجه (هدى) لحظة ، فتابعته
(فريدة) في حق :

— هل تعلمين ما سيفعله به استسلامك للموت ؟ ..
إنه سيجعل منه طفلاً يتيماً ، بائساً .. ولن يجد في الدنيا
كلها ما يعوضه عن حنان أمه ..

تسلل الحنان إلى ملامح (هدى) ، وواصلت (فريدة)
حديثها الغاضب :

— أنت أم يا (هدى) ، وحبك لـ (سمير) لا يحو

تحوّل مسار (هدى) تماماً بعد هذا اليوم ..
 أقبلت على العلاج في اهتمام خالص ، وحماس شديد ..
 أصبحت ترغب في الشفاء ، وتتمناه ..
 أطباء المستشفى كلهم كانوا يتمنون لها الشفاء ..
 وذات يوم زارتها (فريدة) في المستشفى ، ورأت
 السعادة ترسم واضحة على ملامحها ، فسألتها في فرح :
 - هل تشعرين بتحسّن يا (هدى) ؟
 هتفت (هدى) في فرح :
 - كثيراً يا (فريدة) .
 ثم تلفت حولها ، وكأنها تخشى أن يكون هناك
 ما يسمع حديثهما ، وهمت في فرح :
 - الجميع هنا يولونني اهتماماً بالغاً ، وبالذات
 (عادل) .
 سألتها (فريدة) في قلق :
 - من (عادل) هذا ؟

مستوليتك الخاصة تجاه ابنك .. ولا أعتقد أن (سمير)
 يقبل استسلامك للموت ، وتخليك عن ابنه ، إنه لن يغفر
 له ذلك .

نعمت (هدى) ، وقد تذهبت إلى هذه الحقيقة
 لأول مرة :

- لن يغفر لي تركي ابنه يتيماً !!
 وفجأة شق المكان صوت (أحمد) يصرخ في فرح :
 - ماما .

التفت إليه (هدى) ، و (فريدة) في جزع ، فاندفع
 نحو أمه ، وتعلق بها وهو يبكي ويقول في ألم :
 - لا تتركيني يا أماه .. لا تتخلي عني .

احتضنته (هدى) في لفقة الأم وحنانها ، وهتفت
 وهي تضمه إلى صدرها في قوة :

- لن أتركك أبداً يا (أحمد) .. سأحيا من أجلك .
 ثم التفت إلى (فريدة) ، وقالت في حزم :
 - سأحيا يا (فريدة) .

تورّد وجه (هدى) بحمرة الحجل ، وقالت وهي
ترخي جفنيها في حياء :

— ذلك الطبيب الشاب ، الذي قابلته هنا بالأمس ..
هل تذكرينه ؟

تذكرت (فريدة) الطبيب ، فقالت في دهشة :
— يا إلهي !! .. (عادل مرزوق) .

نعمت (هدى) في سعادة :
— إنه هو .

تردّدت (فريدة) لحظة ، ثم سألتها :
— هل طلب الزواج منك ؟

ازداد تخضب وجه (هدى) بحمرة الحجل ، وهي
تقول :

— ليس بعد ، ولكن معاملته لي تؤكد ذلك .

لم تحاول (فريدة) مناقشة الأمر معها ..
اكتفت بأن هذا الحافز الجديد ، قد بعث في نفس
(هدى) مزيداً من الرغبة في الحياة ..
مزيداً من الإقبال على العلاج ..

سألتها في حنان :

— هل تحبينه يا (هدى) ؟

قالت (هدى) في فرح :

— نعم يا (فريدة) .

شعرت (فريدة) بالسعادة ؛ لأن (هدى) نجحت
في التغلب على أحزانها ، ولكن إحساسها الدائم بالأمومة
تجاه (هدى) ، جعلها تسأل في المستشفى عن (عادل) هذا ،
كما تفعل الأم وهي تسأل عن زوج ابنتها المرتقب ..
وكانت المفاجأة ..

إن (عادل) متزوج ، وله طفلان ..

وبعد مواجهة غاضبة مع (عادل) ، كشفت
(فريدة) أن ما يوليه لـ (هدى) في حنان ، لم يتجاوز
شعور الطبيب نحو مريضة ، تعاني مرضاً خطيراً ..
ولكن (هدى) هي التي أساءت فهم مشاعره ،
وتفسيرها ..

أثار هذا الكشف رعب (فريدة) ، ولكنها كتمت
مشاعرها داخلها ، وقرّرت إخفاء الأمر ، حتى يتم

شفاء (هدى) ، وبعدها ستصبح أقدر على تحمل الصدمة
الجديدة ..

صدمة الفشل الثالث ..

* * *

تهدت بصوت مسموع ، وقد توصلت أخيراً إلى
الحزن المطل من عينيها ..

وشعرت نحوها بالشفقة ..

إنها امرأة تعاني دائماً الفشل ، في كل مرة ينبض فيها
قلبها بالحب ..

ولا ريب أن فشلها المتكرر ، هو سبب محاولتها
التظاهر بمظهر المرأة المستهترة ..

ولا ريب أنه ينعكس أيضاً على مشاعر ابنها ، ويحفر
الحزن في عينيها وملاحه ..

لاحظت هي الارتياح الذي ارتسم على وجهي ،
فسألتني في هدوء :

— ماذا حدث ؟

ابتسمت وأنا أقول في ثقة :

— لا شيء .. مجرد شعور بالنجاح .

عقدت حاجبيها الجميلين ، وهي تسألني في دهشة :

— أي نجاح ؟

أجبته في هدوء :

— سأخبرك حينما تنتهي قصتك .

أومأت برأسها موافقة ، وعادت تواصل القصة ..

* * *

على الرغم من محاولة (فريدة) إخفاء الأمر عن
(هدى) ، إلا أنها عرفت بمحض الصدفة ..

عرفته من حديث عابر مع إحدى ممرضات المستشفى .

عرفت أن (عادل) متزوج ..

وكان وقع الصدمة عليها رهيباً ..

انهارت مشاعرها ، وفقدت مرة أخرى الرغبة في
الشفاء ..

ولولا حبها لـ (أحمد) ، لاستسلمت للموت في خضوع ..

وباتت مشاعرها ممزقة ..

حدّقت في وجه محدّثي بذهول ..

لقد حطمت في الدقيقة الأخيرة من قصتها ، كل
استنتاجاتي السابقة ..

ولكنني شعرت أنها تخدعني ..

تأملت ملامحها في ذهول ، وهي تنهض حاملة حقيبتها ..

لم أستطع أن أصدّق أنها ليست (هدى) ..

إنها تحمل نفس العينين ، والملامح ..

إنها (هدى) ..

نغممت وأنا أتابعها ببصري :

— (هدى) !

ابتسمت ابتسامة تفيض حزناً ، وقالت :

— لقد رحلت (هدى) .

رأيت (أحمد) يسرع إليها ، وقد لمح من وقفها

استعدادها للانصراف ..

رأيت يتركها كفه الصغيرة في استسلام ، على نحو

يستحيل حدوثه ، إلا بين طفل وأمه ..

جزء منها يبحث عن الشفاء من أجل ابنها ، وجزء
آخر يسعى للموت هرباً من فشلها المتكرّر ..

كان صراعاً رهيباً ، بين عقلها ومشاعرها ..
وانتصر أحدهما ..

انتصر ذات ليلة غاب فيها القمر ، وحجبت فيها

الغيوم ضوء النجوم ..

كانت ليلة شديدة الظلام ..

ابتسمت (هدى) في وجه (فريدة) ، ابتسامة

ذابلة شاحبة ، ونغممت في ضراعة :

— (أحمد) يا (فريدة) ..

وكان هذا آخر ما نطقت به ..

رحلت (هدى) في هدوء ..

لحقت بحبيبها (سمير) في عالم الخلود ..

أردت أن أسأله عن تكون هي ، ولكن نظرته
الحزينة المراقبة أوقفتني ..

سألني قبل أن تنصرف :

— هل منحتك قصة جيدة ؟ ..

أجبته في توتر :

— بلا شك .. ولكن

قاطعته وكأنها فهمت مقصدي ، وقالت :

— ضع لها النهاية التي تحلو لك ..

قبل أن أسأله سؤالاً آخر ، كانت قد انصرفت ،

وتركت لي حيرتي ..

أ (هدى) هي ؟ .. أم (فريدة) ؟ ..

أكانت تعني حقاً رجيل (هدى) ؟ أم أنه مجرد

رمز لحالة الضياع التي عاشتها بعد فشلها الثالث ؟

رأيتها تعبر بوابة النادي ، وهي تحتضن كف الصغير

في حنان ، في نفس اللحظة التي وصلت فيها زوجتي ،

وهي تدفع أمامها عربة طفلي الصغير ..

*** ١٥٨ ***

لوّحت لي زوجتي بكفها في مرح ، فبادلتها التحية في
شروء ..

كنت أعلم أن عقلي سيقضى وقتاً طويلاً قبل أن يهدأ ..

سيظل حائراً يتساءل : أ (هدى) هي أم (فريدة) ؟ ..

وحتى هذه اللحظة ، لم يحصل عقلي على جواب شاف ..

ولعلّي أجد الجواب عندك أنت أيها القارئ ..

هل عرفتھا ؟ ..

[تمت بحمد الله]

المؤلف



د. نيل فاروق

السلسلة الوحيدة التي لا يجد الأب أو الأم حرجاً من وجودها بالمنزل

لعبة القدر

(هدى) فتاة جميلة ، ذات مرح
طفولي ، وقلب حنون . ولكن القدر
يعبث بحياتها كلها .. فتارة تتذوق
السعادة ، وأخرى تجتر الحزن .. وتسير حياتها
كلها تحت رحمة القدر ، ولكن كيف
تكون النهاية ؟ أهى السعادة ، أم
الشقاء ؟ .. إنها (لعبة القدر) .

١٠٠

التمن في مصر

وما يعادل دولاراً أمريكياً في سائر الدول العربية والعالم